

داستان

حبیبون بیلی

ایستاد بشارح ا مرى
اخبر، و تبه و تبه
الى الى العراة

— — —

- هي قصة الحب العربية الحادثة التي اصررت لك الحب امدوى الطم
"مع تصوير وتفسير الك اعماف والا لاص رااه نام
التمتع بها احدى حدقة من أشهر راأى سمب
بمحارة وردت عار حارة

— — —

صحر رحا
التي حيا

مجنون ليلي

كان في زمن خلافة عبد الملك بن مروان رجل من أهل المقابر وأصحاب المناصب والمآثر يقال له الملوخ بن مزاحم ، وكان من سادات بني عامر وله من الأولاد الذكور ثلاثة أنفار كأنهم البدور وكل بالأدب مذكور ومشهور ، ومنهم قيس وهو صاحب هذا الديوان الذي اشتهر بالعشيق وحسن السريرة وكان أصغر إخوته عمراً وأعلمهم همة وأرفعهم قدراً ، وأفصحهم كلاماً وأجودهم نظماً ونراً وأعلمهم بالأدب وأخبار العرب وكان مع هذه الأوصاف جميل المنظر عالي الهمة فصيح الكلام طويل القوام كأنه البدر التمام ، حافظ زمام الاحتشام قد نطق بالشعر وهو ابن سبعة أعوام وكان أعز أخوته عند أبيه نظراً لأوصافه وحسن مساعية لأنه قد حاز جميع الصفات البديعة وحببته هي ليلي بنت المهدي تتصل بنسبه في كعب بن ربيعة وكنيتها أم مالك بدليل قوله :
تكاد بلاد الله يأأم مالك بمارحبت يوماً على تضيق

وكانت سمراء اللون قصيرة القامة فصيحة الكلام وعلى خدها الأيمن شامة وكان سبب عشقه لها أنه ركب يوماً على ناقه له وخرج من الحى على سبيل النزهة والتسيير وعليه حلتان من الديباج والحرير فأقبل على بعض الغدران فوجد عليه جماعة من البنات والنساء فحياهن بالسلام وتكلم معهن بأفصح كلام وأعجبهن غاية الإعجاب واستدعيته للحديث والخطاب وكانت ليلي من جملة من فنزل وجلس معهن وحمل يحادثهن ويقلب طرفه عليهن حتى وقفت عينه على ليلي فاعتنت بها واندھش وخفق فؤاده وأرتعش وقال لمن هل عندكن شيء من الطعام ، قالت لا يا ابن الكرام ، فعمد إلى الناقة فنحرها وأضرم النار وأخذ يشاغلها بالحديث والأخبار ومناجدة الأشعار وهو شاخص فيها دون باقي النساء ثم قال لها أتأكلين الشواء قالت نعم أيها السيد المحترم ، فطرح الناقة على الجمر في الحال وقد اعتراه الخيال وتضعفت منه الأحوال من شدة الوجد والبلبال ، فقالت له ليلي انظر

إلى اللحم هل تضج أم لا ، فتقدم إلى الجر وقبضه بكنا يديه وسقط على وجه الأرض معشياً عليه فأكل الجر لحم راحتيه .

فلما رآته على تلك الحال مدت إليه ذراعها وشدت يده بهدب قناعها وعالت أنه غرق في بحر هواها وقد اشتهاها وتمناها ، فغير لون وجهها من شدة الحياء وأقام قيس معهن كل ذلك اليوم إلى المساء ثم ذهب وهو على غير الاستواء من تباريح الوجد والهوى ، فلما جن الليل أخذ في الابتكار وصرى ليلة بالبكاء ومناشدة الأشعار فمن ذلك قوله :

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا	لى الليل هز تنى إليك المضاجع
أنضى نهارى بالحديث وبالمنى	ويجمعنى الليل الذى هو جمع
إذا مر يوم من حياتى ولا أرى	خبالك ياليلى فعمري ضائع
تضيق على الأرض حتى كأنى	من الصبر فى سجن فما أنا صانع

(قال الراوى) فلما كان ثانى الأيام استدعته للندامة والكلام وقد دخلها الحب والغرام لأنها كانت مغرمة بأحاديث الناس وأشعارهم وكان هو عارفاً بأيام العرب وأخبارهم فتمكنت بينهما المحبة والمودة حتى لم يستطع فراقها ساعة واحدة هذا ، هو المشهور فى كيفية عشقتهما حسب ما ذكرناه ، وزعم البعض أن سبب وقوع الهوى بينهما خلاف ما أوردناه وهو أنها قد كانا صغيرين يرعيان الغنم بدليل قوله :

تعشقت ليلي وهى غر صغيرة ولم يبد الأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى الهمم ياليت إنا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر الهمم
فتحابا ومضى على ذلك برهة وهما بأطيب عيش ونزهة ثم حجبت عنه
كما سيأتى الخبر وجرى عليه مالم يجر على قلب بشر ، وعلى كلتا الحالتين عرف
كل منهما ما عند الآخر ، وكان قيس يذهب فى كل يوم إلى بيتها فيقف عنده
حتى يراها ، فيشكو إليها ما عنده من حبا وهواها ، ولم يكن دأبه إلا البكاء .

تشكو ماله عندها من الشوق إلى رؤياه ، وأنها لا تميل إلى أحد سواه . فلما سمع كلامها طاب قلبه وزال غمه وكربه هذا وقد انتهى بالحديث مع بعضهم البعض حتى امتلأ الإناء وصار السمن يقطر على الأرض ، وما زالوا يتحدثن نحو ساعة من الزمان إلى أن غرقت أرجلها بالسمن ولا يعلمان ، وكان أبوها قد استبطأها مصاح عليها ونادها فلم تقب له إليه ولا ردت عليه ، فخرج ليكشف الخبر وقد أنكر أمرها فوجدتهما على تلك الحالة المتقدم ذكرها ، فاستعظم ذلك الأمر ثم منعها الزيارة في الليل والنهار وحجبها عنه خوفاً من المضحية والدار ، فكان يغنم غملة الرقيب ويجمع بها فيطفي ما بقلبه من نار اللهب . فلما باء ذلك شكاء مني الخليفة عبد الملك بن مروان وأعلمه بذلك الشأن ، فكتب إلى عامله الذي كان وثياً على القرم يأمره بقتله إذا هو ذرها بعد ذلك اليوم ، ولما قرأوا عليه الكتاب ووقف على حقيقة الخطاب قنهد وتحسر وأشد وقال :

لئن حجب ليلى وآلى أميرها على يميناً جاهداً لا أزورها
على غير شيء غير أني أحبها وأر فؤادي عند أبي سميرها

ولما نُس من زيارتها أحذه اقلق والوسواس حتى أشرف على زوال عتبه وصار مثلاً بين الناس ، فأقبل عليه أبوه وبسومه وإخوته ومن يلوذ به من أهله وخلانهم وقالوا له يا قيس اتق الله وأعرض عن هذه الجارية واسلها واعلم أنك إن دمت على هذه الحال أتلفت مهجتك وهوها ونساء العرب كثيرات وفيهن من تضاهي البدور الراهرات فأحب من هي أحسن منها وإنك في غنى عنها فقد هتكت حالك بين الأهل والخلان وصرت مثلاً بين القبائل والعربان . فلما ألحوا عليه بالكلام قال دعوني يا قوم من اعتب رايك لا أختار امرأة عليها ولا أميل إلا إليها ثم أشد :

أن وقع مغشياً عليه ، فقدمت ورشت له الماء وقبلته بين عينيه ، فلما أفاق
أثمد وقال .

أفأهـ القلب اللحوج الممذل
من قد افاق العاشقون وإنما
تعر نصبر واستعن بخلاله
ولا كل دى رد عدت مكانه
مقل فؤادى ما جتررت ملامه
أهل نفسى بالحديث وبالمنى
من الله من باح الحبل وعيره
وفدت به بانه يالىلى
من أرى أدبت دماً عليه
بأن سئت هـ فى نار منى خمسمائة
مرر بدار طال حتى هلمته
ألبت لـ حـ رعدير دمه
لا يسرى بلى إلى من وابهرى

رح من معره اغرورقت عيانه بالدموع فوأت به أن يحتض أملا
اه حـ قلب راجه وهو يبكى ويتهدد به عظمه عييه الحال سدوفه

أنا الرامق المشعوب بالله ناصرى
أنا من المهرم والهاشم إلى
أطال من رن دمه وتحسر
من دأبلى فؤادى من
أى رن دمه أنت تكون بـدة
المطـ رنى نضب ميم

ومنقضى من يحور ويحمـ
أراعى أربا والحليون وم
وأزرب كأشأ فيه رعه
بروحى تقضى ماتحب رتحكـ
كلانا به باق ولا تنكـ
فماك يابى إلى برق ويرحمـ

صريع من الحب المبرح والهوى
بكى لى با ليلي الفؤاد وإنه
لعمري ما لاقى جميل بن معمر
ولم يلق قابوس وقيس وعروة
صبا يوسف واستشعر الحب قلبه
وبشر وهند ثم سعد وواق
وهاروت لاقى من جوى الحب علة
ولم يخل منه المصطفى سيد الورى
أبيت صريع الحب دام من الهوى
ولولا طارق الليل أودت بنفسه
بذاهى رادت فى النوى رادى الهوى
أعارت أنفاس الصب بك صبوة
ألا أن دمع الصب عما يحنه
سانى عيى من الهوى وهو الخلق
وكيف يضيق الصب كتمان سره
(قال الأري) وأقام فيس بعد ذلك أياماً وهو يكابد ألم الفراق وفى ذات
يوم ركب ناقته وصار طالماً زبارة ليلي من ذلك المكان ، فوجد الحى خائياً
من أسكن له مع فيه صوت إنسان سوى صياح البوم ولعيق الغربان
جلس بمحضر الى مراند الزيران وينام فى تقامبات الزمان ، فمذ ذلك زادت
"رأيت داراً لى رأى داراً من قفراً فبكى مرأ وأنشد :

وسأروا بدلي والى كواكب دافع
ومر صلتها فى سائر الدمار لفة
اطير بيمكيها وعابر يسجع
فيا للعدا من صبوة كيف أحسم

أتبع ليلى حيث راحت وخيمت وما الناس إلا آلف ومودع
فإن يك جثمانى بأرض بعيدة فإن فؤادى عندك الدهر أجمع
ألا تتقين الله في قتل عاشق له كبد حرى عليك تقطع
غريب مشوق مولع بدياركم وكل غريب الدار بالشوق موع
فأصبحت بما أوقع الدهر موحماً وكنت لريب الدهر لا أتضعضع
قنعت بلحظ منك ليلى وإنما ينال المنى من كان باللحظ يقنع
أبيت بروح الطريق كأننى آخر خيل أوصاله تنقطع

(قال الراوى) وبينما هو على تلك الحال وإذا براع يرعى غنمه في ذلك

أخى وقصده حتى وصل إليه نسلم عليه وسأله عن أخبار القوم فقال له :
رحلوا إلى جبل تورباد في صباح ذلك اليوم ، فسار وهو منزعج الفؤاد حتى
أقبل على جبل تورباد وكان ذلك الوقت في آخر النهار فوجده خالياً من
الرجال ليس فيه إلا النساء والبنات الأبنكار ، وبلغ ليلى قدومه من بعض
الجوارى فداخها الفرح والاسمعة فخرجت إلى منشاء ردى لاند مق
أن تراه ، فلما وصلت إليه سلمت عليه فابتهج وانشرح وكاد يطير من الفرح
وأخذ كل منهما يتسكوا ما هو فيه من ألم الفراق والضوى وتماريح الوجوه
والجوى ، ثم قالت له في آخر كلام كيف كان صبرك عني يا قيس في هذه
الأيام ، فقال لها والله بأمية القلب والروح انتهى بين جنبين ليس لك عنك
صبر ولا سوان وقد أقلقني الوجد والهيان من كثرة الأفكار وسهر الليل
والنهار حتى لم يبق لي هدوء ولا اضطراب ولا أقيمت في مكان وفري قرار
وما تركت زيارتك إلا خوفاً عليك من الأعداء اللثام الذين ليس همومهم
ولا ذمام ، إن زيارتك تنجلي عمومي وتنقض غمومي وشرح صدرى
رأيت امرأة فكري تم بكى وأنشد يقول :

أبا ناس رند الدين يقدح في صدرى ونار لاسى ترمى فؤادى بهجر
والله ما أنساك ما هبت أصبا وما ناحت الأعيار في وضوح النجر

وما نطقت بالليل سارية القطا وما صدحت في الصبح غادية الكدر
وما لاح نجم في السماء وما بكت مطوقة شجراً على قن السدر
وما طلعت شمس لدى كل شارق وما هطلت عين على واضح النحر
فأقسم لا أنساك ما ذر كوكب وما خب آل في معلة قفر
فلما سمعت منه هذه الآيات بكيت وضمته إلى صدرها وأنشدت :

ولقد أردت الصبر عنك فعاقتي - حلول بقلبي من هواك قديم
وينني جفاك النوم من كل لذة - ويقلقني ذكرك وهو عظيم
ثم ودعها وسار خوفاً من قدوم الرجال وفي رجوعه إلى أهله أنشد وقال :
حلا ذكر الأحبة في فؤادي فهمت من الغرام بكل واد
وقد باحت بأسراري دموعي وجفني قد جفا طيب الرقاد
وكم ناديت بين خيام ليلى - وكم في حبها مثلي ينادي
أنا المضي فجودي لي بوصل فقد زاد السقام إلى السهاد
وكم أجريت يوم البين دمعاً - على الخدين كالسحب الغوادي
فما أحلى التهنك في حماها - حماها الله من كيد الأعادي
عسى بالوصل أحظى قبل موتي وأفرح باللقا بعد السعداء
(وقال أيضاً)

إذا نظرت نحوى تكلم طرفها - فجأوبها طرفي ونحن سحوت
ولو خلط السم المذاب بريقها - وأسقيت منه نهلة لبريت
(وقال أيضاً)

ولو شهدتني حين تأتي منيتي - جلا سكرات الموت عى كلامها
فيا ليتنا نجيا جميعاً وإن نمت - تجاور في الهلكى عظامها
(قال الراوى) وجد قيس في قطع الطريق وهو مسرور بذلك اتفق
حتى أقبل إلى الديار والشوق في قلبه كليب النار، فلما دخل إلى الخيام قدمت
له أمه شيئاً من الطعام فأبى ولم يأكل ولا عرفت منه عينه المنهم بل تبضى ليله

في البكاء والنواح إلى أن بدت غرة الصباح ، فلما رآه أبوه على تلك الحال وقد
 تغير جسمه واعتراه الحزالرثى لحاله وخاف من نزوحه باله وقال يا ولدي
 يا مبهجة كبدي ارجع عن هذا الأمر واقبل النصيحة فقد هتكت نفسك
 وصرت مثلاً بين الوري وأحدوثه لكل من يسمع ويرى ، فكم قد نصحتك
 وأنت لم تسمع وأزدك فلم ترجع وكل ذلك من أجل جارية من بنات العرب
 وهي دونك في الحسب والنسب ، وأنا أشير عليك الآن ألا تذكرها بشقة
 ولا بلسان فإن حديثك قد شاع بين جميع العربان واشتهر في كل مكان ،
 فاذكر الله وتب إليه بما أنت عليه . فلما سمع من أبيه ذلك الخطاب تغلب
 عليه الحزن والاكتئاب وقال له كلما حدثتني بهذا الكلام ازداد بي العشق
 والغرام ثم هاجت به الأشواق وغلبت عليه غممه الفراق ، فبكى وانتحب
 وفاض دمه وانسكب ، واشتدلى قلبه وأتعب وأنشد يقول :

وكم قاتل لي اسل عنها بغيرها	وذلك من قول الوشاة عجيب
فقلت وعيني تستهل دموعها	وقلبي بأكفاف الحبيب يذوب
لئن كان لي قلب يذوب بذكرها	وقلب بأخرى إنها لقلوب
فياليل جودي بالوصال فإنني	يحبك رهن والفؤاد كئيب
فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنها	من الوجد قد جادت عليك تذوب
وألقي من الوجد المبرح سورة	لها بين جلدي والعظام ديب
وأنى لاستحيبك حتى كأنما	على بظهر الغيب منك رقيب

(قال الراوى) فبكى أهله رحمة له وطلبوا من الله أن يعافيه بما ابتلاه ،
 فلما سمع كلامهم تنفس الصعداء وتهدأ وأشار إليهم وأنشد :

لقد لامني في حب ليلى أقاربى	أبى وابن عمى وابن خالى وخاليا
يقولون ليلى أهل بيت عداوة	بنفسى ليلى من عدو وماليا
أرى أهل ليلى لا يريدون بيعها	بشئ ولا أهلى يريدونها ليا

فليت نسيم الريح أدى تحتي
 فيا عجباً ممن يلوم على الهوى
 وهيهات أسلو من الوجد والهوى
 معذبتى لولاك ما كنت هاتماً
 أبيت ضجيع الهم ما طعم الكرى
 بساحرة العينين كالشمس وجهها
 خليلي .. را لي فرائسي وارفعها
 وإن مت من داء الصبا بلغة

إليها وما قد حل بي ودهانيا
 فتى دنفاً أمسى من الصبر عارياً
 وهذا قيصي من الحزن بالياً
 أبيت سخين العين حيران باكياً
 أنادى إلهي قد لقيت الدواهي
 بضى سناه في الدجى متسامياً
 وسادى لعل النوم يذهب ماياً
 نتيجة صوء الشمس متى سلامياً

(وقال أيضاً)

ما بال قلبك ياجنون قد هاعا
 يقول صهي ودمع العين منحد
 ظالماً أبكى عيماً أسمع بمنزلة
 بقات كفوا .. إن القلب ريجكم
 طوبى لمن أنت ياليلي قرينته
 لما ترات كتاباً منك يبلغني
 دعوا إلى هجرها قلبي فيتبعني
 لا يستطيع نزوعاً عن مودتها
 كم من وفي لها قد كنت أتبعه
 تزيدني كلفاً في الحب إن منعت
 وهاتف من فنان الأيك أزجني
 كأن عينيه من حسن احمرارهما
 يدعو حمامته طير وقد هجعت
 كأنه راهب في رأس صومعة

في عشق من لا ترى في رصلها طامعاً
 سيلاً على الخد هطالاً ومندوماً
 هذا البكاء لصب مرجع فجعا
 تركان صخرة صماء لا تصدعا
 لقد نفي الله عنه الهم والوجعا
 إلا ترقرق دمع العين واندفعا
 حتى إذا قلت هذا صادق نزعا
 أو يمنع الوجد فيها غير ما صنعنا
 ولو صبحا القلب عنها كان لي تبعنا
 أحب شيء إلى الإنسان ما منعنا
 بصوته في ظلام الليل حين دعا
 فسان من حجر الياقوت بدقطعا
 والله ما هجعت عين وما هجما
 يتلو الزبور ونجم الصبح قد طلعا

ما زال مذكان طفلاً يسكن البيعا
قد كان يخفضها طويلاً ويرتفعها
قل العزاء وأبدى القلب ماجزعا
وإن أراد وقوعاً قلبه وقعا
ترجع إلى وكل الطير قد رجعا
عند الفراق بوجد قط ما فجعا
حتى رأيت عمود الصبح قد سطعا
والحمد لله شكراً للذي صنعنا
لا بارك الله فيمن خان أو قطعنا
وأيس يوصل رأس بعد ما قطعنا
فلا يضع جميل أينما زرعنا

أوقس دير تلا مزماره سحرا
فالريح تخفضه حيناً وترفعه
فقلت يا طير ما هذا البكاء وقد
إن طرت طار معى كي لا يفارقنى
وقد دعانى به ريب المنون ولم
وكل ألف يبكى ألف صاحبه
وكنت أبكى ونار الرجاء تعلقنى
فالحمد لله أبكاني وأضحكنى
أحفظ صديقتك لا تقطع مودته
إن النازل تبنى بعد ما خربت
أزرع جيلا ولو في غير موضعه

(وتال أيضا)

وبدريج لم يسمع من هبوب
وكاد جلاميد الصحور تذوب
رأيتي فتول للرجاء خلوب
بغضى أما في العاذلين لييب
فها موت متلى في هواك عجيب
ذكرتك لم تكتب على ذنوب
عن العهد مكم ما أقام عسيب

ولو أن ماى باخصى بق لمضى
ولو أن ماى بالجداء لهدمت
تذكرنى ليلى على بها دارها
فويل على العذال ما تركوتى
فإن عشت لا أبغى سواك وإن أمت
ولو أنى أسغصرتك كلما
فدومى على عهدى فليست بزائل

(قال الراوى) وما زال قيس على مثل هذا الشأن مدة من الزمان ، وهو بكابد الوجد والهميان ، وقد تملبت عليه الهموم والأحزان وكان كثيراً ما يجول فى العلوات يندب نذب الثالكات ، ويمر بين أشجار الغضا ، ويتوغل فى العلا والفضا ، حتى صار فى حالة الذل والويل من كثرة البكاء

ومهر الليل واتفق أنه مر يوماً في بعض الكتيبان فرأى أن رجلاً نصب
شركاً لصيد الغزلان ، قدنا منه وحياء بالسلام وقال له عندك شيء من الطعام
فقال إني بعيد الديار مسافة نصف نهار ، وقد نصبت أشراك في هذه البرية
فاصبر قليلاً واطرد على الظبا ، فإن اصطدنا بلغنا المراد وسددنا رمق القواد ،
لأنني من نحو يومين ما استطعت بزاد ، فبينما هو عنده إذ وقعت بالشرك
ظبية فوثب قيس إليها وقبلها بين عينيها ثم أطلقها وأشار يقول :

أيا شبه ليلى لا تراعى فإنني	لك اليوم من دون الوحوش صديق
ويا شبه ليلى لو توقفت ساعة	عليها سحاب هاطل وبروق
ويا شبه ليلى لو توقفت ساعة	لعل فوادي من جواه يفيق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها	فأنت لليلي إن شكرت طليق
فبيناك عيناها وجبدك جيدها	سوى أن عظم الساق منك دقيق
تكد بلاد الله يا أم مالك	بما رحبت يوماً على تضيق
توق إليها النفس ثم أردتها	حياء ومثلي بالحياء خليق
ولو تعدلين الغيب أيقنت أنني	حيب واني للحبيب مشوق
أروم سلو النفس عنك وما لها	إلى أحد إلا إليك طريق

فاستشاط الصياد غضباً وتغيرت منه الأحوال واعتراه الانزهاال ، وقال
يا هذا ماهذه الفعال التي لم يسبق إليها أحد من الجهال ، فقد من الله علينا بما
كنا نتمناه ، فأحرمتنا إياه ، فقال له قيس وقد اشتد به جواه وعظم مصابه
وبلاء ، لا تلني فإن عينيها تشبه عيني من أهواه ، ثم تركه وسار يحول
في تلك القفار ، وإذا به يرى ظبية أخرى وأسرع نحوها وقبض عليها ومسح
التراب عن وجهها وقرنيها وبعد ذلك أطلقها وأشار يقول :

أذهني في حراسة الرحمن أنت مني في ذمة وأمان
لا تخافي ولا تخافي بسوء ما تمنى الحمام في الأغصان

(وقال أيضاً)

أقول لطبي مري وهو رائع أنت أحو ليلى يقال يقال
أياشبه ليلى إن ليلى مريضة وأنت صحيح إن ذا الحال
(قال الراوي) وكانت ليلى قد مرضت مرضاً شديداً، فلما بلغه الخبر
خفق فؤاده وتكدر، وأخذته القاق والضجر، وأنشد يقول :
يقولون ليلى بالعراق مريضة فإلك لا تضني وأنت صديق



(قيس وليلى يتناجيان) بريشة أمير عباس

مضى الله مرضى بالعراق فإني على كل مرضى بالعراق شفيق
فإن تلك ليلى بالعراق مريضة فإني في بحر العرام غريق
أهم بأقطار البلاد وعرضها ومالي إلى ليلى الغدة طريق
كأن فؤادي فيه نار تنادحت وفيه هيب ماطع وبروق

إذا ذكرت لها النفس ماتت صباية لها زفرة قتالة وشهيق
سبتني شمس تخرج الشمس نورها ويكشف ضوء البدر وهو شروق
غراية الفرعين بدريه النسا ومنظرها بادي الجمال أنيق
وقد صرت مجنونا من الحب هائما كأنى عان في القيود وثيق
برى حبها جسمي وقابلي ومهجني فلم يبق إلا أعظم وعروفي
فلا تملوا بل إن هالكات ترحموا على قنقد النفس ليس يعوق
وخطوا على قبري إذ امت أسطرا قتيل لحاظ مات وهو عشيق
إلى الله أشكو ما ألاق من الهوى بايلي ففي فلبى جوى وحريق
(وقال أيضاً)

ألا إن ليلى بالعراق مريضة وأنت خلى البال تهنو وترقد
هو كيت يا مجنون تضنى من الهوى لبت كما بات السليم المسهد
(قال الراوى) ومر رجس ذات يوم بليلى وهى واقفة على باب حباها رهى
تد تعافت من عياها ، فهاالت له ياهذا إلى أين أنت سائر ؟ فقال لها إلى ديار
بى عابر ، فنهت وبكت وأنت رايتك وأنشدت بقول :

يا أراكب المزجى مطيه عرج لأنبيء عنى بعض ما أجد
لما ترى الناس من وجد تضمنه إلا ووجدى بقيس فوق ما وجدو
هوى رساء رانى فى مودتها ورده إلى آخر الأيام احتهد

(قال الراوى) فاستفق لرجس عليها وتقدم إليها وقال لها حياك الله يا حرة
عرب من لك من صبية ست إن كنت من أهل المروءة وكرم الأخلاق والفتوة
وعمن منى هذه الشعوب راجس كسر فبى الملهوف وهو أنك متى وصلت إلى
بى عابر وتذكر بن الملوخ بن مزاحم فتى اجتمعت به أقرانه
مى وقال له أمة عمك بلى قد أعتناها أسقام من شدة انوحه والغرام

وهي لا تلتذ بطعام ولا تذوق أجفانها المنام وقد سارت ميلا بين النساء في سائر
الأنحاء ثم كتبت له رقعة ضمنتها هذه الأبيات :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك بلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليم
فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا . بحسمى من قول الوشاة كلوم
وسار الرجل طالباً حتى بنى عامر حتى وصل إليه واستدل على قيس فدلوه عليه
فخياه بالسلام وحدثه بما قانته ليلى على المنام . فلما سمع قيس شعر ليلى أن أنين
الشكلى ثم تنهد من فؤاده متبول وكتب إليها مع ذلك الرجل يقول :
وأنت التي كلفتني دج السرى وأحدثت جرح القلب وبو كليم
وأنت التي قطعت قلبي صباية ورقرت دمع العين وهو سجوم
وأنت التي أغضبت قومي فكاههم بعيد الرضى داني القطوف كظلم
ثم خرج تجول في نواحي ذلك الوطن إذ مر به سرب من القطا وما رآه
أنشد يقول :

شكوت إلى سرب القطا إذ مررتني	فقلت ومثلي المكاء جدير
أسرب القطا هل من معير حناحه	لعلني إلى من قد هوبت أطير
وأى قطة لم يعرني جناحها	فعاشت نصر والجناح كسير
وإلا فمن هذا يؤدى رسالي	فأشكره إن المحب شكور
إلى الله أشكو صبوتي بعد كربتي	ونيران شوقي ما بهن فتور
فإن لم أمت هما وغماً وكربة	يعاودني بعد الزفير زهير
إذا جلسوا في مجلسي هدر وادمي	وكيف تراها عند ذاك تجير
ودون دمي هن الرماح كأنها	توقد جمر ثاقب وسعير
أرى النوم يأتي دون ليلى كأنما	أنى دون ليلى حجة وشهير
ففسكى أسيراً مستهماً فإنه	إلى ذاك منكم وارحمه فقير

طوت أم عمرو بعد نأى ركاها
وجالت جبال البعد بيني وبينها
قطعت الحصى والرمل حتى تفلقت
سلوا أم عمرو هل ينول عاشق
ألا قل لليلي هل تراها مجبرتي
أظن بحزن أن تغت حمامة
بكت حين در الشوق لي وترنمت
أينذهب عقلي بعد حلمي رفد علا
ومستجيلي بعد التحلم نسوة
تعودن قنبل المسلمين كأنها

(فان الراوى) ثم مضى على وجهه وأوسع في القنار فبينما هو يدور إذ
طبار يحاوب بعضها بعضاً على غصون الأشجار فنادوا وأنتد بقول

ألا يا حمامات الحمى عدن عودة
فعدن فعد عدن حين تمقرنى
عدن يفرقن الهدير كأنها
فم تر عيني منكم حمائم
وأصحن قد فرقرن إلا حمامة
تذكرنى ليلى على بعد دارها
فبالت ليلى بعضهن وليلى

(وقال أيضاً)

أجسك يا حمامات تنوق
أنرك يا حمامات طريق
ورن في شكاة أقبر حلق
فعد ديجت ودفوف حرق
بأنى لا ألام وتمجدينه
رأت في شكاك فكذرا

ولاني قد براني الحب حتى
أراك الله في محلك السلامي
ولست وإن حننت أشد وجداً
وفي مثل الذي بك غير أني
أما والله غير قلى وبغض
لقد جعلت دواوين الغرائي
فقد ما كنت أرجى الناس عندي
إلا لا تنسين روعات قلبي
فبينما هو على مثل ذلك هبت ريح من نحو أرض نجد فراج به الغراء
الوجود بأشد وقال :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
رعى الله من نجد أناساً أحبهم
سقى الله نجي أو المقيم بأرضها
إذا هتفت ورقاء في روتق الضحى
بكيت كما يكي الوليد ولم أزل
وأصبحت قد قضيت كل نباله
وإن قربت دار بكيت وإن نأت
ألا حبذا نجد وطيب تراه
إذا وعدت زاد أهوى لا تظارها
وقد زعموا أن الحب إذا دنا
بكل تداوينا ولم يشف ما بنا
على أن قرب الدار ليس بشفع
مسر به غراب يخفق فواده رزق رب وعظمه عليه السلام وأشد وقته
ألا يا غراب أمين هيبت أوعتي
وقد زادني مسراك وجداً على وجد
لو أنقضوا عهدي حفظت لهم ودي
سحاب غواد خبايا من الرعد
على فمن عض النباتات من الرند
جليداً رأيت بيت الذي لم أكن أبدي
نمامية راسخاني قلبي إلى نجد
كأنت فلا تقرب أسلو ولا أبعد
وأرواحه إن كان نجد على النعم
وإن بخلت الوعدت على الوعد
عمل وإن المأى يشقى من الوجد
على أن قرب الدار حير من البعد
إذا كان من ترواه ليس أذى ود
فويحلت خبرني به أنت تصرح

أبالبين من ليلي فإن كنت صادقاً
ولا زال رام فيك فوق سهامه
ولا زلت من عذاب المياه مفعراً
فان طرت أردتك الختوف وإن تقع
وعابنت قبل الموت لحملك مشدخاً
ولا زلت في شر تعذاب مخلداً
ولا زال عظم من جناحك يفسخ
ولا أنت في عيش ولا أنت تفرخ
ووكرك مهتماً وبيضك يرضخ
تقيض ثعبان بوجهك ينفخ
على جمر حرثا ريشوى ويطاخ
وريشك منتوف وجلدك يساج

(قال الراوى) ولما جن عليه الظلام ارتد راجعاً إلى الخيام وبات في غلق شديد وغم ما عليه من مزيد . ولما كان الصباح رجع إلى ما كان عليه من "سكاه" ، وأوح وقال وما زال على تلك الحال حتى ضعف جسمه واعتل ، وكاد عقله من شدة الوسواس أن يختل ويبيع لبلى الخبر وأخذها القلق وضجر ، واضطرب وناو وناو . وفرض دمعها على حبيبها وندحر ، رويحت على أبكده واسهر وجرى غايها . لم يجر عن تاب وشر فسكرت ، إليه مع من تعتمد عليه أيها الخبيب والسيد الأديب مريجة الفؤاد وزينة الأجر . من سائر الزام بالكمال وحن الخصال ، وحفظ العهود والذمام والمحبة الصالحة الخاتمة من الآتام ، لقد بلغنى ما أنت فيه من الشوق والعرام والوجد والهيام ومكابدة "سهر" وعجزان الطعام واحتمال كلام اللوم حتى اعتراك الهزال وصرت ناحلاً كالتخيال وحيث الحالة هذه ناحصر نصف الليل إلى وادى "لاراك" وأنا أرايك إلى هناك ولو خاطرت بنفسى في هواك فلا يساوى لذة رؤياك وختمت كلامها بهذين البيتين :

يا ميسيتى أنت مقصودى ومطلوبى وأنت رغماً عن الأعداء محبوبى
إن تحتجب عن عيون الصب يا أملى ما أنت عن قلبى المضنى بمحجوب

(قال الراوى) وثنا بنغ قيساً هذه الرسالة ووقف على فحوى تلك المقالة اشرح صدره واستراح وحفت عنه بعض الأتراح وأنشد وقال :

تعود مريضاً أسقمته بهجرها ولو طاودته عاد لا يعرف السقمها

أضربت بالقلب ناراً من الجوى فما تركت عظما ولا تركت لحما
وإني على هجرانها وصدورها وما حل بي منها أرى هبها حتما
خليلى كما لا تلوما متيما ولا تقتلا صبا بلومكما ظلما

(قال الراوى) تم انه قصد ذلك المكان وفى قلبه لبيب النيران إلى أن وصل إلى تلك الأرض عند إفوال الظلام ، فجلس وهو يتأدس فى الربى والآكام إلى أن انتصف ظلام الليل وغلا نجم سهيل ، فعند ذلك زاد به القلق والسوت والأرق ، فارتعس هؤلاء وحقق ووقع على وجه الأرض ونهق ، وإذا بليل قد أقيمت فتقدمت إليه وسلمت عليه وقبلته فى عارضيه وبين عينييه ، لما رأى ما فرح به ، وبسرور انتمى الغم واضجر فنهض فى الحال وجلس وردت روحه إليه بعد أن كان على آخر نفس لأن العاشق لا يبرأ إلا بنظر الحبيب ، إذ رآه ذمب مابقاه من الالميب . ثم قالت له لقد بلغنى ما أنت به من الهم والحزن حتى ضعفت جسمك ونعير لربك وجهك بعد ذلك الحس وذلك كذا ، لأحلى ملاكك أما رلا كان أهلى . فله لها وحق من يقول لمتى كس سيكون انتهى منذ فارقتك لأن لم تغمض لى جفون ، بل كنت أهيم مع الوحرش فى البرارى و قمار شد الانسار وأقتنى الآثار وألقى نفسى فى المهالك والأخطار وأصل اللين بالهار ، ولا يطيب لى عيش ولا يقر لى قرار . حتى نمرت الأمل مى وانقلب القلوب عنى وكنت كلما ذكرتك خفق وؤادى وغاب رشادى وتبلبل خاطرى واشتعلت سرائرى إلى أن اضمحل جسمى من الهزال وداب من شدة الوجد والبال لأن ملك الهوى عنيده وقيدته أشد من لابل الحديد والآن قد انحلت عن قلبى الكروب وانشرح صدرى برؤيتك بعد أن كان متعوب ، ثم غلب عليه جواه وتذكر ما فاساه فتأوه وتهده وأشار إليها وأشد :

فوالله لا أدرى علام هجرتنى وأى أمور فيك يا ليل أركب

أقطع حبل النوصل فالموت دونه
فلو كان لي قلبان عشت بواحد
رمتني يد الأيام عن قوس حمة
كعصفورة في كف طفل يهينها
ولا أظلم ذو عقل يرق لحاها
ولا الطير طلق الجناح فيذهب

(قال الراوى) هذا انتهى قيس من أبياته تساقط دمه على وحشته
وقالت له جزاك الله خيراً ولا أراك سوءاً ولا ضيراً ، ثم فاضت عيناه
بالدموع وتنفست من هواء موحجوع وأشمت :

فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى
تقطع من وحد ودا ب حبيده
ثلاثون يوم كل يوم ربيعة
أفوت وأحيا إن ذا لشديد
(قال الراوى) ثم أنها حدثته بحالها وما أصابها من أجله وكيف خاضع
محبها حمة وبه وأنها تحبه وأشتبهه ، قال ومارال قيس يحادث لبي ، يتذمر
بالضر إلى أن مضى وقت سحر ولاح ضوء النهار وظهر فعمد ذلك ودعته
ورجعت على الأثر حوداً من أن يراها أحد من البسر ، ورجع هو يطلب
طلابه والديار وفي قلبه من أجله ليرتج من نار وهر يشد ويقول :

لقد أرسلت لبي إلى رسو ما
خشت على خوف وكنت معوذ
فت ونيات له به به رية
وكيف عزى قيس تم علك
هو أن به تدع الحرة الحرة
ونو مسحت ، ذهب أعشى لا دست
دمعة تسر حبيب برحمة

أر آما سر إذا لليس أظنا
أحاذر أيقاظاً عداة وبوم
ولم تتبع يا صاح والله محرم
وقد أورت في نقاب داء مكنما
وبو كلمت ميتة إذا أتت كلما
حمة وشيكاً ثم عاد بلا عي
تزين مرس عفة وتكرما

هتلك التي لم يكن داء دواؤه وهاروت كل السحر منها تعلما

(وقال أيضاً)

سأبكى على ما فات من صباية وأندب أيام السرور الذواهب
رأيت عيني أن تاد بغيركم وإني وإن جابت غير بجانب
وخير زمان كنت أرجو ديوه رمتنا عيون الداس من كل جانب
فأصبحت مرحوها وكنت محبداً وصبراً على مكروهما والعواقب

(وقال أيضاً)

رمسى من لا نلى أن أعاجره ومن أباقي ليسور وأمسرذا كره
ش أحل أحبت من لا يحسى وبغضت من قد كنت حيناً أعاشره
ألا يشناه نفساً تسعد الدوى ونجوى فؤادى لا تباح مرائره
أحملك يا ألى على غير ربة وما خير حب لا تمنى ضمائره
وقد كان قلبى فى حجاب بكه فبك من دون الحجاب يباشره
اصبر يا صبرى على ما ترى رفيت من لؤى عدو أحادره

(وقال أيضاً)

بصاه أكرها أليم كأمها قمر توسط حفر ليس أسود
در سومة بأحسن دات حواسد إن الحسار مطنة بالحد
رثرى راهها ترقق مقلة سوداء ترعب عن سواد الإند
عود إذ كثر الكلام تمودت بحمى الحياء وإن تكلم تقصد

(وقال أيضاً)

من لؤى يحى دى رأى لأيس طوال اللبالي من قصول إلى مجد
أنا لا أبى رأيتك واعترف سحر إلى يوم القيامة والوعد
وما ذلت حياءى لمبلى حمر وشوقه لئلا يسمر حتى علاه أثير واس ونرك محادثة
أنا رخرىم عا حرد القيامة فكلا لا ينس قيصاً إلا حرفه ولا ثوباً إلا مزقه

كان كثيراً ما يطوف في البراري والهضاب ويكتب الشعر بإعجابه في الأرض
على التراب ودمعه يجري على خديه مثل قطر السحاب ، ولما طال عليه الحال
رقت له قلوب الرجال وأقبل منهم جماعة على أبيه وقالوا له أخرج به إلى مكة يطوف
بالبیت لعن الله يعافيه وعن حب ليلي يسليه فأجابهم إلى ذلك وامتلأ وسار إلى
مكة على عجل فلما قدموا به قال له أبوه يا قيس تعلق بأستار الكعبة ففعل فقال
اللهم يا من احتجب عن عبود العالم بما كان ربما يكون أرحه من حب ابلي
وأزل عن هذا الجنون ، فقال قيس أيها الإله الحى القادر على كل شئ إني تائب
إليك من جميع الخطايا والذنوب إلا عن حب ليلي وذكرها فإني لا أتوب ، ثم
تأوه وتهد وتمس الصداء وأنشد :

دعا المحرمون الله يستغفروا به مكة شعناً كي تمحى ذنوبها
وإديت : يا رحمن . أرضى ليلي هم أمت حبيبها
يقولون يا أم من حب ابلي وذكرها رثلك لعمري توبة لا أتوبها
يقر لعيني قربها ويزيدني بها عجباً من كان عندي يعينها
فيا من عميراً أنت رثلك بأرض نفس غاب عنها حبيبها
والجمع أبرد هذه الأبيات المهمات منه العبرات ثم أخذه بده إلى محفل
من ثرجان رسأه أن يدع له الفرج والخلاص من هذه الحال ، فلما أخذ
ليس في الدعاء له أنشد وقال :

ذكرتك والحبيب له ضجيج مكة والقلوب لها وحيب
فقت ونحن في حب حرام به تده أحاصت أقاوب
أتوب إليك يا رحمن حبيب فقد مكثرت الذنوب
واسع من هوى يبي رثكي ربهما فإني لا أتوب
حكيم زعمه أي ردين أثرب إليك منها أو نيب
رقداروى ثم ترك الباء وأخرم ونهزم وقصد البراري والأكم

فتبعه أبوه وجماعة من قومه حتى أدركوه . وأرادوا أن يربطوه بالحبال ويكتفوه ، فقال لهم بالله عليكم تمهلوا على قلبلا فإن قلبي أضخم عليلاً ثم صاح صيحة عظيمة وأنشد يقول :

أحقاً عباد الله أن لست صادراً ولا وارداً إلا على رقيب
ولا جالساً وحدي ولا في جملة من الناس إلا قيل أنت مريب
وهل ريبة في أن تحزن نجية إلى إلفها أو أن يحزن نجيب
وكيف أعزى القلب بعد فراقها وأنى على طول الزمان حبيب
(وقال أيضاً)

إلى الله أشكو وقد ليلى كما شكاً إلى الله فقد الوالدين يتيم
يتيم جفاه الأقربون معظمه كسير وقد الوالدين عظيم
بكت كبدى من دغدها وتهلت دموعى كما طل فهو سجوم
وإن زماناً فرق الله بيننا وببك ياليلي فذاك مشوم
دعوني فما عن رأيكم كان حها ونكه حظ لها وقسيم
(وقال أيضاً)

يا بهر ليلى قد بعثت في المنى وردت على ما لم يكن بهن الفجر
عجبت لسمى الدهر بيني وبينها لما انتضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبا زدن جوى كل ليلة وبساوة الأيام موعدهن الخشر
تكد يدي تدى إذا ما لمستها وينبت في أطرافها الررق الخضر
ورجه له دياجة قرسية به تكشف البلوى ويستنزل القطر
ريهتر ن تحت الشيب قرامها كما اتر غصن المان والذين اتمر
يا حمداً الأحياء ما دمت بهم رباحين الأموات إن ضحك التبر
رائى لتعورنى مذكرات ففهمه كما انتفخر المصفر بالله القطر
تسمى ان حبه حزار عتبرنا حورت زيارت ليلى أن بكرن لما لا جبر

فأهول إلا أن أراها فجأة فأبته لا عرف ألدى ولا نكر
فلو أن مابى بالخصى فلق الخصى بالصخرة الصماء لا تصدع الصخر
ولو أن مابى بالوحوش لما رعت ولا ساغها الماء النير ولا الزهر
ولو أن مابى بالبحار لما جرت بأمواجها بحر إذا زخر البحر

(قال الراوى) فبكى أبوه شفقة عليه وهطلت دموعه على وجنتيه ، ثم اعتنقه وقبله بين عينيه وقال له يا ولدى إلى متى وأنت فى هذا الشقاء العظيم والبلاء الجسم ، أما كفك الجولان فى القمار وعدم الهجوع والقرار وسهر الليل والنهار ، حتى عدمت النشاط وصرت كل يوم فى ضعف وانحطاط ، فإن بقيت على مثل هذه الحال لا تزال فى انهزال وانحلال لأنه ليس فى ذلك إلا إضاعة العمر والمصير إلى المهالك ، فعدمعى الآن إلى بنى عامر وكن منشراح الصدر مطمئن خاطر وأما أتلا فى هذه القصة وأزواجك ليلى وأزيل عنك هذه الغصة قال :

وما زال أبوه يشاغله بالأحاديث اللطيفة والعبارات الطريفة إلى أن راق ولان ورجع معه إلى الأوطان وزالت عنه الغموم والأحزان وفرح به الأهل والخلان وصار عند أبيه فى أعلى درجة وأرفع مكان ، فهذا ما كان منه وما جرى له من مكابدة العشق وحر الصبابة والوله . وأما من كان من ليلى فإنه قد شاع ذكرها بالآفاق وتحدث فيها الناس فى الحجاز وبلاد نجد والعراق ، وتناشدوا ما قال فيها قيس بن الأشعار الرقاق ، التى لم يسبقه إليها أحد من فحول الشعراء والعشاق ، فكان كل واحد يود أن ينظر ويتمنى أن يراها ويبصرها فترادفت عليها الخطاب وكثرت عليها الطلاب ودخلوا على أبيها فى ذلك من كل باب ، وكان من جهاتهم رجل من بنى ثقيف يقال له سعد بن المنيف وكان أعظم من طلبها قدراً وأخفهم ذكراً فاستشار الأب ابنته ليلى وأظهر له رغبته فى ذلك المولى وقال لها قد انتشر صيتك فى بلاد العرب

وخطبك من السادات أصحاب المناصب والرتب ، وأنا أصدق كل طالب ولا
أصغى لخطبة خاطب خوفاً من زوج دميم الأخلاق قبيح السيرة كرام المذاق
لا تقدرين على معاشرته وتتعبين في مراقبته ، إلى أن خطبك هذا الإنسان
وهو من أكابر هذا الزمان وعمدة الزوات والأعيان كثير المال محمود الخصال
عبد محلي بالآداب والجمال واتصف بالهمة العالية والكمال وقد أجبتة إلى هذا السؤال
وأزوجك إياه دون بقية الرجال لأنه لا بد للمرأة من زوج يلها فيسترها
ويفرج همها ، فلما سمعت ليلى من أيها ذلك الخطاب ، أظهرت الكدر
والاكتئاب وعظم عليها ذلك الأمر واكتوى قلبها بلهب الجمر لأن هذا
الخبر لا يوافق غرضها ولا يشفي غلتها ومرضاها لأنها كانت تحب قيساً وتميل
إليه ولا يستقر خاطرها إلا عليه نظراً لما بينهما من المحبة القديمة والصداقة
القوية فأنت ولم تقبل وفضلت حلول الأجل وقالت هذا أمر لا يتم أبداً
ولو مت قهراً وكهداً ، فلما سمع كلامها وعلم ما في ضميرها ومرامها تهددها
ودار به الغيظ ، فلطمها فاجتمع عليه الجيران والأهل والخلان فلما رأت
ما حل بها من الهوان وإن موج البلاء أحاط بها من كل مكان أجابت سؤاله
بالكره والإجبار لا بالطوع والاختيار ثم ندمت على زواجها غاية الندم
وجرى قلم القضاء بما حكم ، وصارت محبتها له تكلفاً ورؤيتها إياه تعسفاً
فكان لا يقر لها قرار ولا يطيب لها عيش لا بالليل ولا بالنهار . قال ولما
بلغ قيساً هذا الخبر اضطرب وتحرق قلبه والتهب واستولى عليه الجنون
بعد الهدوء والسكون وأشد يقول :

وقد خبروني أن ليلى تزوجت ولا بد لي من أن ألقى خليلها
فإن كان مثلي لم ألمها على الهوى وإن كان دوني فبس ما قد قضى لها
وإن كان من أوباش ما حوت القرى لقد تعست ليلى وأضنت خليلها

(وقال أيضاً)

حبيب تنأى عنى الزمان بقربه فصيرنى فرداً بغير حبيب
على قلب محزون ونفس مدله ووحشة مهجور وذل غريب
فياحب الأيام هل فيك مطمع لرد حبيب أو لدفع كرب

ثم خنقته العبرة وزادت عليه الحال ، ونفجر يهيم في الصحارى والتلال
ويطوف في قتل الجبال ويتحمل المشقات والآثقال ، ويقتحم الموارد حتى
ضعف جسمه من شدة الانفعال . وجف جده على عظمه لقوة الهزان يشق
على الأهل والجيران والأصدقاء والمخلان وقاوا لأبيه لو كانت تحمله وترضه
على طبيب ربما انتفع بعلاجه وتعود صحته إليه عن قريب ، فامتثل وخرج
إلى الصحراء في طلبه . حتى اجتمع به ، فلاطنه بالكلام ولاقاه بالبشاشة
والإكرام ثم إنه سار به إلى تريب في تلك الأطراف يقال له علقمة بن
عساف وهو في بلاد "عرب مشهور يعالج كل مجنون ومسحور . فلما دحس عليه
حدثه بقصة ولده على التمام وما هو فيه من العشق والغرام وكيف أنه قد حمل
نفسه مالا يراه إلى أن أنكره . فقام وأصناد صدر عبدة لمن يراه بعد ما كان
فريد زمانه ورحيم دهره وأوازه وفاق بالنصحة والآداب سائر أقرانه ،
فعند ذلك أخذ "حبيب يسقيه شربة بعد شربة ، ويكرمه في أكله ، فلما
أكثر د ، المتل أنشد وقال :

ألا يا طبيب الجن ربيحك داوئى	فإن طبيب الإنس أعياء دائماً
أنت لبيب الإنس شيخاً مداوياً	بمكة يعطى في الدواء الأمانيا
فقلت له يا د . حكمت بمعتكم	إذا ما كنيت يوم يا عم ماب
ففي نفسى نار بأبردأنى حاجة	شرح فيه سلوة و... نيب
نفدت دمرضى نفس يسعون	أعرت رب الناس مثل ساريا
فقات نهض الحبيب أن يرمى الطوى	باحتماء من تهورى إذا كنت خالي

قال الطبيب نعم ليس للعاشق الكتيب دواء إلا منادمة الحبيب ، فإذا حصل على ذلك الغرض زال عنه ذلك المرض هذا وقيس بعض على لسانه وشفتيه حتى كاد من فرط الحزن يقطعهما ، ثم نهض وخرج على وجهه هاماً في الفلوات ، فبينما هو يدور رأى ناراً في بعض الجهات فدنا ، وإذا حولها قوم رعاة فأنشده وقال :

رعاة الليل ما فعل الصباح ، وما فعلت أوائله الملاح
وما بال النجوم معلقات بقلب الصب ليس لها براح
كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلي العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
رعاة الليل كونوا كيف شئتم فقد أودى بي الحب المتاح
(وقال أيضاً)

ذكرت عشية الصدفين ليلى وكل الدهر ذاكرها جديد
إذا حال الغراب الجون دوني فمقبي إلى ليلى بعيد
على ألية إن كنت أدري أينقص حب ليلى أو يزيد
لها في طرفها لحطات حفيف تميت بها وتحي من تريد
وإن غضبت رأيت الناس هلكت وإن رضيت فأرواح تعود
(وقال أيضاً)

أقول لأصحابي وقد طلبوا الصلا
فإن لبيب النار بين جوانحي
فقالوا نريد الماء نسقي ونستقي
وقالوا أين النهر قلت مدامعي
وقالوا ولم سندا فقلت من الهوى
ألم تمرنوا وجهاً ليلي شعاعه
تعالوا الصطلوا إن خفتهم القمر من صدرى
إذا ذكرت ليلى أحر من الجمر
فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهري
سيغنيكم دم مع الجنون عن الحفر
فقالوا الحاك الله قالت اسمعوا عذري
إذا برزت يغني عن الشمس والبدر

مسر بومى خاطر فيؤودها	ويحرحها دون العيان لها فكروى
معمة نوا قابل البدر وجهها	لكان له فضل معين على المدر
هلاية الاعلى ماطحه الذرى	مرجحة السفلى مرفقة فى الخمس
مسة هيماء مهضومة الحشا	موردة الخدير واضحة الثمر

مد ملجة السافين بضئى بضيفة
 فقالوا أبحر ون فقلت موسوس
 ولا ملك الموت المريح يربحى
 وموت بوتك البين منها حمامه
 عني دوحه تست تحت أصواها
 مطرقة طوقاً ترى في خطاهما
 أنت أعنى لصوت مها فريحت
 وفقت لها عودى قلب ترنمت
 كأن فؤادى حزين حرم سيرة
 فودعتها ولما تقدر في احده
 رحت كأنى به راحته جفها
 أنت صريع الحب دام من الرعب
 رمته يد الأيام عن قوس عره
 سمين مسمومين من رأس شاهر
 سدى دعي في الهوى دت تها
 فركت ما كمت من ماء مودة
 ولو كمت أياك كمت ليل توصل
 عيت سلام الله يا غاية المي

مفلجة الأنساب مصقولة الخمر
 أطوف بطهر البيد قفراً إلى قفر
 ولا أنا ذو عيش ولا أنا ذو صبر
 اغت بليل في درى ناعم صر
 نواقع ماء مده رضم الصحر
 أصول سواد مطمن على البحر
 ثوآداً معى بالمبيحه أو تدرى
 تادرت العينان سحاً على الصدر
 حياح عرب رمة نضاً إلى الوكر
 وتودع نادى أهر من صر
 بقيت دم الحبات حين نهى عمرى
 وأصبح مروع الفؤاد من الصدر
 سمينى في عسر تنبي روى بحر
 معدرت محم التراب والحر
 فموت لا ياني لم يزر توى
 ولو كمت يوماً كنت من غمرة الصحر
 وأو كمت بجما كنت بر الدحمى يسرى
 وقالمتى حتى التيامة والخمر

وقال أيضاً:

لست أرى باب لا أحما
 ر الذى لا يعلم عيب غيره
 فى ردى دى من الطور عده
 القمى نجات ليلى على الناس مثل ما

بلى واذا العشر والتفح والو
 بمدرته تجرى السنان والبحر
 وعظم أيام الدبيحة والدمر
 على رأس سهر فضلت ليلة القدر

تذكرت عن ليلي بليلى من الهوى
إذا ذكرت ليلي أمر بذكرها
مفاجئة الباب لو أن ريقها
هي البدر حسناً والنساء كواكب
يتقوان مجنون يهيم بذكرها
إذا ما قرضت الشعر في غير ذكرها
فلا نعمت بعدى ولا عشت بعدها
عليها سلام الله من ذى صباة
أيامى أعطيت البطالة مقودى
مضى لى زمان أو أخير بينه
نقلت ذرونى ساعة وكلامها
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
كما انتفض العصفور من بلل القطر
يتداوى به الموتي لقاموا من القبر
فشتان ما بين الكواكب والبدر
والله ما لى من جنون ولا سحر
أبى وأبيكم أن يطاوعنى شعري
ودامت لنا الدنيا إلى ملتقى الحشر
وصبب منى بالبارس والفكر
تمر الليالى والسنون ولا أدري
وبين حياتى خالداً أبداً الدهر
على غفلة الراشين ثم انطاعوا شعري
وقال أيضاً

أنيرى مكان البدر إن أفل البدر
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها
بلى لك نور الشمس والبدر كله
ملك المنيرة المألأه والبدر حانع
وعن أين الشمس المنيرة بأضحا

قال الرازي : وأذنيهم تيس مع الرعيان نحو ساعة من الزمان وهو يشهد
لأنه ربيهم بما يكافئ ثم ترك الملبكين وقصد بعض الهضاب وصار
تدفع على الأرض ويذهب بالتراب ويبينها وفي مثل ذلك المكان إذا مر به
منهم من كان يركب البغال الذي صحبه جماعة من الخدم والوليان يقال له
الشيخ وهو من أهل نيسابور ، ولما رأته عيني تلك الحال أخذته اليد مشية
في أثره حتى جاء إلى عمه وبعض الرجال فقال له هذا مجنون فاني علمت

الذى فاق بالفصاحة والنظام على كل أديب وشاعر ، وكان قد عشق جارية في هذه الأيام يقال لها ليلي بنت المهدي بن عصام وتعلق قلبه بحبها وهام ، وهجر الأهل والأحباب وقصد البرارى والهضاب ، واختار القفار وطنا واتخذها لنفسه سكنا ، فقال نوح : قد كنت أحب أن أنظر هذا الرجل وألقاه وأحظى برؤياه لأنى سمعت كثيراً عنه فكيف لي بالدنو منه قال أذكر له ليلي فإذا ذكرت لها أفاق وصفا خاطره وراق ، وأنشدك من أشعاره البديعة ما لم يسبقه إليه أحد من شعراء عصره وريخته . فعند ذلك تقدم نوفل إليه وسلم عليه ، وقال له بحياة نيس التي هي عنك أعظم من كل شيء شنف بنفائس أشعارك أذن لا تهقد بعنى أباك أسمع ناس كلاماً رأجوهم شعراً ونظاماً ، فبكى قيس رمنسل لما سمع كلام نوفل . وأنشد من نوادر متبول القصيدة التي قالها في التدين :

وأيام لا نخشى على اللوم ناهيا
بليلى نلمن وما كنت لاهيا
بذات الغضى ترحى المطى التراحيا
لدى سواد الليل فرداً يمانيا
علما تسامى ضروفا فبدانيا
وليت الغضى ماشى الركاب ليليا
إذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيا
خليلاً إذا أنزوت دمعى بكى ليا
ولا أشد الأشعار إلا تداويا
بظمان كل الظن أن لا تلاقيا
وجدنا طوال الدهر المحب شافيا
نرد علينا بالعشى المواشيا

تذكرت ليلي والسنين الخواليما
ويوم كذا لم يرح قصرت خيما
بتمدين لاحت نار ليلي ومجتمى
فقال بصبر أكرم تحت كبركيا
فقلت له بل نار ليلي تورتى
فليت ركاب لغوم لم تقطع الغضى
فيا ليل كم من حاجة لى سمى
خليلى أن لا تبكبانى ألتمس
فما أشرب الانقياع إلا صبا
وقد يجمع الله المستيتين بدما
لما الله أقواما يقولون إننا
وعبدى بليلى وهى ذات مؤصد

فشب كينو ليلي وشب بنوابنها
إذا ما جلسا مجلساً نستلذه
سقى الله جارات ليلي تباعدت
ولم ينسني ليلي افتقار ولا غنى
ولا نسوة صبغن كيداء جلعاد
خائلي لا والله لا أملك الذي
قضاها لغيري وابتلاني بحبها
وخبرتماني أن تسيما منزل
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت
فلو أن واش بالنيامة داره
رماذا لم لا أحسن الله حاله
وقد كنت أعلو حب ليلي فلم يز
غياب سو الحب بيني وبينها
فما طلع النجم الذي يستدى به
ولاسرت ميلا من دمشق ولا بدا
ور سميت عندي لها من سمية
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها
بين تمسوا نيني وتحموا بلادها
هأند عبد الله أني أحبها
بهي الله بالمعروف منها أخيرا
والله الذي أمت يا أم مالك
تسببنا في هذه السيرة

وأعلاق ليلي في فؤادي كما هي
تواشوا بنا حتى أمل مكانيا
بهن النوى حيث احتلن المطالبا
ولا توبة حتى احتضنت السواربا
لتشبه ليلي ثم عرضها ليا
فضى الله في ليلي ولا ما قاضى ليا
فها بتى غير ليلي ابتلايا
تليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فما للنوى ترمى بليلي المراسيا
ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا
من الحظ في نصريم ليلي حباليا
بي القصر والإبرام حتى علانيا
يسكون كفافاً لا على ولا سيا
ولا الصبح إلا هيجا ذكره ليا
سميل لأهل الشام إلا بدا ليا
من الناس إلا بال دمعى ردائيا
من الليل إلا هبت الريح جديا
على ملن تحموا على القرانيا
فهذا لها عدى فما عندها ليا
وبالشوق منى والغرام قضى ليا
أشباب فريدى (١) واستهان فؤادى
وفر عشت دهرأ لا أدد الليليا

وأخرج من بين البيوت لعلنى
أراى إذا صليت يمت نحوها
وما بى إشراك ولسكن حبا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها
خليلى ليلى أكبر الحاج والمنى
أعمرى لقد أبكيتنى يا حمامة العقيق وأبكيت النيون البواكيا
خليلى ما أرجو من العيش بعدما
وتجرم ليلى ثم تزعم أنى
فلم أر ملينا خليلى صبا
خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى
وإنى لأستحيبك أن تعرض المنى
يقول أناس عل مجنون عامر
بى اليأس أو دار الهيام أصابنى
إذا ما استطال الدهر يا أم مالك
إذا اكتحات عينى بسينك لم تزل
فأنت التى إن شئت أشقيت عيشى
وأنت التى ما من صديق ولا عدا
أصروبة سبى عن أن أرورها
إذا سرت فى الأرض الفصاء رأيتى
يمينا إذا كنت يمينا وإن نكن
رأى لأستغنى رما بى نعمة
بى اسحر إلا أن لا اسحر رقية
إذا نحن ادجنا وأنت أمام

أحدث عنك النفس بالليل خاليا
بوجهى وإن كان المصلى ورائيا
وعظم الجوى أعبا الطيب المداويا
وأشبهه أو كان منه مدانيسا
فمن لى بليلى أو فمن ذا لها بيا
أرى حاجتى تسرى ولا تشتري بيا
سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
أشد على رغم الأعداى تصافيا
حليلين لا يرجون إلا تلاقيا
بوصلك أو أن تعرضى فى المنى
يررم سنوا قلت إنى لما بيا
فما بى على لا يكن بك ما بيا
شأن المايا "لقاضيات وساب
بخير رحلت غمرة من سراديا
وأنت "تى إن شئت أنعمت بالبا
رى تصور ما أبقيت إلا رنى بيا
ومتخذ ديبا لها أن ترانبا
أصانع رحلى أن يميل حبالبا
تتملا يزعى الموى عن سمبا
بى حبالا منذ يدق حبالبا
ولمى لا أبقى هـ. الدهر راقدا
كفى مضارا بذكرالك هـ

ذكت نار شوق في فؤادي فأصبحت
 ألا أيها الزكبي اليمانون عرجوا
 أنساؤكم هل سال نديان بعدنا
 ألا يا حمى بطن نعيان هجتا
 رأبكتاني وسط صهي و أكر
 ويا أيها قمريتان تحاوبا
 فإن أنما ستطربتا ر أردما
 ألا ليت شعري ر إلي وما يا
 ألا أيها اواشي بسلي ألا ترى
 أن طس الأحاب يا أم مالك
 يبارك ر صرت لبلى من أن
 وإلا فغصها في وادى
 على مثل ابلى يقتل المرء نفسه
 حيل إن خنسوا بلى رة
 (قال الووى) ولما تهي قبس من سمره
 وقال له ذك على هذه الألدات
 تشريح الخواطر والقلوب وتجيى
 المحبوب ، لأمك ما تركت من طرائف
 وصف الخب مقالا لشاعر نبيت
 لهم رة وقد ساب لى أكبر مما ترى
 وأشد يقول :

أياحاجات الحى حين تحملوا
 ونعيماتك الملاقى بعرج اللوى
 إلى الله أشكونية شقت لعصا
 بذى سلم لا جاد كن ربيع
 بلين بلى ما إن لهر رجوع
 هى اليوم شتى وهى أمس جمع

فلو لم يهجنى الطاعنون لهاجنى نوايح ورق فى الديار، وقوع
فداعين فاستبكين من كان ذاهوى نوايح لا تجرى لهن دموع
لعمري إني يوم جرعا مالك لعاص لأمر العاذلين مطيع
وما كاد قلبي بعد أيام جاوزت إلى بأجوار الحدى يريع
وإن انهمال الدمع ياليل كلها ذكرت لك يوماً خالياً لسريع
ندمت على ما كان منى نداهة كما ندم المغنون حين يبيع
لعسرك ما شئ سمعت بذكره كبيك يأتي بغتة ويربع
عدمك من نفس شعاع فاقى نهتك عن هذا وأنت جميع
فقررت في غير القريب وأثرت هالك ثانياً ما لهن طلوع
يضعفني سبيك حتى كأني من الأهل والمال التليد نزع
وحتى دعاني الداس أحق مائناً وقالوا تبوع للضلال مطيع

(قال الراوى) ثم تزايدت حيرته وتصاعدت زفرائه، منهذ وبكى
وتأوه وشكا وقال جاءها الأصحاب وتخلوا عنها الأهل والأحباب ديا له من أمر
عظيم رعب جسم، فقال له نوفل اعلم أبا الأح المفضل إن دمت على
دده الحال فإياك هالك لا محالة تنب إلى الله وارجع إليه راعته في
مورك عليه، يكثف عليك هذا العرض ويزيل من قلبك هذا المرض،
فأجده قيس قائلاً يا أحمى كيف أضيق نصبر وقد استعل قبي من لهوى
بجهر، فبأنه عليك ذهب عى ودعى أقاسى العذاب وأدبته، وورد اخذك
والعجب، لأنك كلما عزيتى وسيتى ونصحتى ازدادت هيرما حتى رقيت
إليه رغب ثم غاب عنه الخول وأشد وقال

أيام عني فاني د ثم صب لا ترى الجسم قد ودى، مضط
تتبي ما ذ قد أتيح له من حبه في كراع الرص
صبت عى بلاه الله ما رحمت يه رحت في الأرض وحارب

البين ربولتى والشوق يحرقنى والدار نازحة والشمل منشعب
كيف السبيل إلى ايلي وقد حجبت عهدي بها زماناً مادونها حجب
(وقال أيضاً)

لوسيل أهل الهوى من بعد موتهم
لقال صادقهم أن قد بلى جسدى
جفت مدامع عين الجسم حين بكى
هل فرجت عنكم مذمتكم الكرب
لكن نار الموت فى القلب تلهب
وإن سببا سمع عين الروح تنسكب
(وقال أيضاً)

وقالوا ان تشاء سلوت عنها
وكيف وحبها علق بقلبي
لها حب تشأ في فؤادي
وعناذك تقطعني صلاً
فقلت لهم فاي لا تشاء
كما علق بأرشية دلاء
فليس له وإن زجر انترام
وفي زجر الموازل لي بلاء
(وقال أيضاً)

مِنْ "غَوَايَ قَتَتِ دَشَاتُهَا
 فِي صَدْعِهَا عَقَارِبُ يَالِاسَعْنَا
 إِنَّ التَّقَامَ حَنَاقُ كُلِّ خَرِيدٍ
 يَبْضُ أَشْمُهُ الْحَقَاقُ ثِيَابُهَا
 يَدِي الْخُرُوبِ جُلُودُهَا وَإِنَّمَا
 زُنْتُ رَوَادِنَهَا دَقَاقُ خَصَرِهَا
 مِنْ "لِي طَرَقَ الرِّجَالُ خِيَابُهَا

(ناب وای) (تجب زلال من سرعتی بدیته، عذوبه الیخا، رقه
وخته، رکان ته، لایه - رخته، شسته، سایه، فقال له أیها الحبيب والله اعز
المحبب منی، یعنی ویدم منی آن زلالی فی هذه الحال تقامی لشداب والذکال
فیر ما تنسیر می یلی "دنیا و آنا، زوجتک ببعض البنات الا کثر من

هي احسن واحلى من ابيه عمك ليلى ، فلما سمع كلامه جمدت عيناه ونظمت
بلاياه ، وقال لا سمعك ، قولك أبداً ولا تركت ليلى على طول المدى ، فعند ذلك
تركه ودار ربي قيس يهيم في السهول والأوعار ، ينشد الأشعار ويتقوت
بقبات الصغار يقامى المشقات والأخطار .

(قال الراوى) وكانت ليلى منذ تزوجت لا تنشف لها دموع ولا تبرد
لها لوعة وذلك لخوفها على قيس ووجودها به لأنها كانت مشغوفة بحبه وكان
لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اضطبار بل كانت تبكى في الليل والنهار بدموع
غزار إلى أن فاردم قلبها من فرط عشقها وحبها ، ولما طال عليها الحال
أنشدت تقول من فؤاد متبول :

إذا هدأت رجلى بدأت بذكره	وأحلم فى نومي به وأعيش
إذا ذكر المجنون زالت بذكره	قوى النفس أوكاد الفؤاد يطيش -
ووالله ما زال الفؤاد يحنه	وإن كان صدرى من حواه يحيش

قال لبيد بن ربيعة - ثى بعض الرواة أنه قيل لليلى العامرية رأت
أن لم تنفثه عن ذكره لنقتلنكما معا ، فبعثت إلى القائل على يد مولاها
رقعة مكتوباً فيها .

توعدتنى قومي بقتلى وقتله	فقلت اذنبونى واتركوه من الذنب
ولا تبعوه بعد قتلى ذلة	كفى بالذى يلقيه من سورة الحب

(قال الراوى) نعم استدعت بغلام من أهل الحى الذى كانت تعتم
فيه فى كل شيء وكنت إلى قيس مع ذلك الغلام تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
أبلى يا ابن أعم وفاك الله من عافيت الخيرة أعم أ ، قد أوحشى مررت
بأبي الله ألك ، وقد سر عو : أن رأنا مواذبة على لأحران لا أرى طريقاً
نفر ولا نزار المستصر ، إلى ن ضاق صدرى رأت صدرى وترأت على

الاسقام من كثرة البكاء وقلة الأكل والطعام ، ولا شك بأن حياتي في هذه الدنيا صارت قصيرة وأيام إقامتي بسيرة حيث لم يعد لي صبر على الفراق وقد اكتوى قلبي بنيران الاشتياق ، وما بقي في الأمر إلا التسليم والانقياد على ما قدره علينا رب العباد ، وختمت كلامي بهذه الآيات :

قد كنت حاذرة للدمر عارفة أن سوف يطلبني بالرمي مذتقدا
حتى رماني بمن قد جل عن صفتي فما أرى لي به ويلي الغداة يدا
لقت الدواق بماء العين ثم به كتبت ما يكتب المجهود إذ جهدا
هذا الرداع لمن روى القداء له قد خفت ألا أراه بعده أبدا

ثم إنها أمرت ذلك الشاب أن يسير في طلبه في البراري والهضاب وانها
بوتظار الجواب فامتثل وسار وقصد الروابي والتقاها ولا زال يطلبه في جوارب
البر حتى التقى به في يوم شديد الحر قد انجأ إلى كهف جبل عظيم بالقرب من
ديار بني تميم وهو مستنق على ظهره وغارق في بحار فكره ينشد ويقول :

أحن إلى ليلى وإن تهطل السموى برني كما حزن انيراع المنقب
يقولون لبني عذبتك بحبها ألا حبذا ذاك الحبيب المعذب

(قال الراوى) فدنا منه ليعلم رحياءه بالسلام ولا طفه بالكلام ، وقال
له أيها الشاب الظريف والأديب اللطيف ، إن محبوبتك ليلى تسمي عليك وقد
أرسلتني بكتاب إليك ، فيه ما يسر خاطر ويشرح القلوب والنواظر ، فلما
ذكرت له ليلى رجس عقله إليه واستوى جاساً على قدميه ، وتناول الكتاب
ودرأه ووقف على فخواه وطرب وتهد وكف دموعه وأشد :

مذ جرت منها السكتاب بعينه خلوت بنفسي حيث كنت من الأرض
ربكي بنفسي رحمة من جهاتها وبيكي من الهجران بعضي على بعضي
وإن لاهر دما مسياً رجساً وأفضى على نفسي لها بالذي تقضى
شئت روح زصا لا ين في وحتى في أيام يخطك لا تمضي

ثم أجابها على كتابها يقول : من قيس بن الملوح الهاشمي الواقفي والحبيب
الصادق ، إلى سيدة الملاح وكوكب الصباح ، درة الصدف وياقوتة الشرف ،
من قد اتصفت بالمحاسن البهية والصفات العلية والآداب السنية لبلى العامرية
إننى بينما كنت متشوقاً إلى استماع أخبارك واستكشاف آثارك ، ولفظك
وحالك ومشاهدة أنوار جمالك ، لى ورد إلى عزيز رسالتك الموسومة بسماء
الحبة المسفرة عن ازدياد الصلابة والصدقة ، فتلقاها القلب بالفرح وزال
عنه الغم وانشرح غير أنه لا يخفك ما أنا فيه من السكر والقلق والضجر
وكثرة البكاء والسهرة ، وكيف إنى تركت الوطن المألوف وانفردت فى الروابي
والكهوف ، أهيم مع الوحوش والغزلان وأنتقل من مكان إلى مكان ، وحيداً
عربانياً ذليلاً مهاناً أقاسى شراً وأحزاناً لا يستقيم لي حال ولا يرتاح لي بال ،
حتى صرت نحيلاً كالحَيال وذلك من كثرة الأشواق وتنازع الهوى ومرة
العراق ، فقاتل الله أباك الغدار وبلاء بالويل والدمار لأنه كان سبب بلى
وطردى عن أهلى وعشيرتى وما كفاه ذلك حتى أنه زوجك برجل غريب
واختار البعيد على القريب وهذا شرح ما بى من الشقاء والتعذيب . وإنى لك
على طول الزمان حبيب .

(قال الراوى) ثم تصاعدت من أنفاسه الزفرات فحتم كلامه بهذه الآيات

أيامهدى نعى الحبيب صبيحة	بمن وإلى من جثما تشيان
بمن لو رآه عانياً لفديته	ومن لو رآنى عانياً لفدانى
فمن مبلغ عنى الحبيب رسالة	بأن فؤادى دائم الخفتان
وان ممنوع من النوم مدنف	وعيناي من وجد الأسى يكفان

(وضمنه أيضاً)

وجدت الحب نيراناً تلظى	قلوب العاشقين لها وقود
نلو كانت إذا احترقت تهانت	ولكن كلما احترقت تدود
كأهل النار إذا نضجت جلود	أنيدت للشقاء لهم جهنم

(وضمنه أيضاً)

أما والذي أعطاك بطشاً وقوة وصبراً وأزرى بي ونقص من بطشي
لقد محض الله الهوى لك خالصاً وركبه في القاب مني بلا غش
تبرأت من كل الجسوم وحل بي فإن مت يوماً فاطلبوه على نعشي
سلي الليل عني هل أذوق رقاده وهل اضلوعي مستقر على فرشي
(وقال أيضاً)

فؤادي بين أضلاعي غريب ينادي من يحب فلا يجيب
أحاط به الملاء فكل يوم تقارعه الصباية والنحيب
لقد جلب الملاء على قلبي فقلبي مذ علمت له جلوب
فإن تكن القلوب كمثل قلبي فلا كانت إذا تلك القلوب

(قال الرازي) ثم إن ذلك الشاب رجع إلى ليلى بالجواب ، وأخبرها عن قيس وأحواله وما يقاسي من وجده وبلبائه ، فتشوش خاطرهما وتكدرت خمائرهما وتضاعف همهما وغمهما ، وتحسرت على قيس ابن عمها ، فكانت تبكي عليه في الليل والنهار وتشد رقيق الأشعار ، ودامت على ذلك مدة مديدة وأياماً عديدة . قال واتفق في وقت من الأوقات أن جاريتها رأت في بعض الطرقات صياداً معه خمسة غربان ، فاستترتهم وأتت بهم إلى سيدتها فخرجت بهم ليلى إلى خارج البيوت رجملت تضرب غراباً غراباً حتى يموت فتمسج زوجبها وانذهل . وقال لها ما الذي أخرجك إلى هذا العمل ، فقالت أن نعيم الغراب يدل على نراق الأحباب وتمزيق شمل الأصحاب ، وأن ابن عمي قيساً ذكرهم في شعره جملة مرات ، وأمرهم أن يقدوا على عرصات القمار وقد قال :

مر ، أجز غرابان تصايين عسوة بينونة الأحباب دمعك سامح
نعم سبانت الثمينان من بيرة كما سبل من نظم الآلى تطارح
لا يا غراب بين لاصحت بديد وأمكن من أوداج حلقك ذامح

يروع قلوب العاشقين ذوى الهوى إذا أمنوا الشنحاج أنك صانع -
 وعد سواء الحب واتركه خالياً وكن رجلاً واجمعه كما هو جامع
 نأيت أن لا أقع بغراب بعد هذا المقال إلا قتلته فى الحال ، وأعلم يا هذا
 حفظك الله وهداك أن تزوجى إياك لم يكن رغبة فى جمالك ولا فى رفعة
 مقامك وكثرة مالك ، وقد كنت حلفت أن لا أتزوج بعد قيس أبداً ولو مت
 شوقاً وكذا لأنه صاحبي ومعتمدي وقرة عيني ومهجة كبدي ، وحببه لا ينتزع
 من قلبي وجسدي ، وليس فى ذلك من عار ولا عيب ولا شئ ، لأن محبتى له لم
 تكن صادرة إلا عن نية صالحة وطوية طيبة ذكية الرائحة ، ولكن كتب
 عبد الملك بن مروان يأمر أبى بتزويجى .

فكان الأمر ولكنى سأصبر على ما رقه القلم وأثبته الله حيث حكم .
 فلما سمع زوجها ذلك الخطاب اشتبه من كلامها ووقع فى اضطراب وأخذته
 الغيرة وداخله الشك والارتباب ، وتغيرت نيته وتقدم ضميره بالسوء إليها ،
 ثم انه ذهب إلى أبيها فى الحال وقص عليه ما سمعه منها من الماتل : فجل ذلك
 الحديث عند سماعه هذا الحديث ، واضطرب جسمه وارتجف ، وقال له لا
 تخف ، ثم أخذ يلاطفه بالحديث والكلام وأخبره بخبر قيس على التمام
 وكشف أنه حببها عنه من سنين وأعوام وأخرج له كتاب عبد الملك بن
 مروان ، وقال له إن الخليفة يهدر دمه إن عاد واجتمع بها فى مكان وما زال
 يحدثه بمثل هذا الكلام حتى زالت عنه الشكوك والأرهام ، واشتاق إلى
 رؤية قيس ومناذمته وماله إلى معرفته ، وما زال يترقب الفرص إلى أن
 خرج ذات يوم إلى الصيد والقنص فالتقى به وهو فى روضة خضراء بالقرب
 من الصحراء فبقر به قطيع من الغزلان والوعول وهو ينظر إلى ظبية تضع
 خشنها وهو ينشد ويقول :

لقد حارتنى أم خشف وأنها إذا صرع القوم الكرى تطروق

أقام فريق من أناس بودهم بذات الشرى عندى وبات فريق
بحاجة مخزون كتيب فؤاده رهين بيديضات الحجال صديق
فتقدم زوج ليلي إليه وسلم عليه وأنشد يقول :

ومن عجب جنونك فى فتاة مزوجة سـواك وان تراها
أيا مجنون كم نهذى بليلى كـأن الله لم يخلق سواها (١)
(قال الراوى) فصاح قيس من شدة الرجد والوسواس ، وسأل عنه
بعض الناس ، فقيل له هو بعن ليلي التى تحبها وترغب قربها ، فخر مغشياً عليه
ثم أفاق فأنشد يقول :

بربك هل ضمنت إليك ليلي قبيلى الصبح أو قبلت فاها
وهل روت عليك قرون ليلي رفيق الأملحوانة فى نداها (٢)
فصاحك زوج ليلى وتبسم ، وقال اللهم إىء خدمتى فنعم ، فلما سمع قيس
منه ذلك المقال اضطرب فؤاده وقبض بكلتا يديه قبضتين من الحجر ، فما
فارقهما حتى سقط مغشياً عليه . رمت قط الحجر مع لحم راحتيه ، وعرض على
شغفنيه فقطعهما فقدم زوج ليلي مغموما متعجباً منه .

(قال الراوى) وقد تكدر زوج ليلي وأشوش خاضره وتمكر ، وقال
له احذر يا قيس من غفلات الزمان وسطوات الأعداء فان أمير المؤمنين
عبد الملك بن مروان قد يهر دمك مرة ثانية إن كنت لا تنتهى عن ذكر
هذه الجارية لأنك فضحتنا فى الأشعار ، وهتكنتها فى سائر الإفطار ، وقد
أعلمتك بحقيقة الخبر فكن من ذلك على حذر . فزاد بقيس القلق والاضجر
وفأمر دمه على شغفيه وانحدر ، وقال له والله إنه منذ ثلاثة أيام بينما كنت
طرف فى بعض الآكام زارت حوران وقالت لى وحق الملك النديان لقد

(١) حكاه الأصيل ولم يحدثما والديران

(٢) ذكره أبو نوح فى أعاليه ص ٢٤٢

لقد قضى الرحمن بانقضاء أيام عبد الملك بن مروان ثم أطرق ملياً وأقام مدة لا يتكلم شيئاً ثم أمعن فيه النظر وأجال قداح الفكر، وقال أقسم بجامع الشتات ومخرج النبات، أنها سوف تصلكم الأخبار أنه قد مات، فاندھش زوج ليلى من كلامه، وارتد راجعاً إلى خيامه، وما مضى أكثر من ثلاثه أيام بعد ذلك، الكلام، حتى شاع الخبر موت عبد الملك في قبائل العربان فتهيج زوج ليلى من ذلك الاتفاق الغريب والامر العجيب.

(قال الرورى) ركن أبو قيس لا يطيب له عيش ولا يربح له بال خوفاً على ولده من الهلاك والوبال، لأنه كان عالماً بحال الذى هو فيه والاشتهاء الذى كان يؤلمه ويرذيه، فخرج من بيته ذات يوم مع جماعة من القوم من زواجره يتطعمونهم بالآكام، فقتلوه أيام وثى يوم الرابع اتفقوا به وهو على الرما جالساً وقد ألقوا برأسه إلى لارض عابساً، فبكى أبوه وتراسى عايه رقبته بن عينييه وقال له يا ولدى وسهجة كسى إلى متى وأنت فى هذه الحال تتأسى النساء بالأموال والمشقة والإدلال، بعد ذلك الجاه والإدلال، ما من عتاك رحمت وأدبك وبهك، فقتل كسماً مادهاك، فقم بنا الآن نرجع إلى الأوطان، فإن الذى أنت فيه إنه شر من عمل الشيطان، فزجره عن رتت برحمن، فقال له يا كس ما لك من الأمر طامع إلا فى هذا الشأن خارج عن حدود لإمكان، ثم مضت عياله بالندوع وأشد من مواد مصدرع:

الله يعلم أن النفس هالكة ما يأس منك ولكن أعنيها
متيتك النفس حتى قد أضربها واستيقنت خلفاً مما آمنها
وساعة منك ألوها وإن قصرت أشهى إلى من الدنيا وما فيها (١)
قال له أوه اذكر الله فى نفسك قس حلول رمسك، فقال قد صدقت وبالحق نطق وأشد بقول:

دعوت إلهى دعوة ما جراتها وربى بما تخفى الصدور بصير
لئن كنت تهدي برد أنيابها العلا لأففر منى . لأننى انقفير
وقد شاعت الأخبار أن قد تزوجت فهل يأتينى بالطلاق بشير
(وقال أيضاً)

ألا تلك ليلي العامرية أصحت تطامح إلا من ثقيف حبالها
هم حسوهم محس السدن وابتنى بها المال أقوام ألا قل مالها
إذا انتفت والعيس صعر من البرى بنخله جلت عبرة العين حالها
(وقال أيضاً)

عفا الله عن ليلي وإن سفكت دمي فإنى وإن لم تجزنى غير عائب
عليها ولا مبد لليلي شكاية وقد يشنكى المشكى إلى كل صاحب
يقولون تب عن ذكر ليلى رحبها وما حلى عن حب ليلى بتائب
(قال الروى) ثم إنه تركهم وذهب ونبط فى ذلك البر راكب وم
زال يحول من مكان إلى مكان حتى وصل إلى جبل يقال له ثوبان وكان كثيراً
ما يجتمع ليلي فى ذلك المكان ، فـ رأى تذكر أيام الصبا وتجددت عليه
الظموم والأحزان وأنشد وقال :

وأجهشت للثوبان حتى رأيته وهلل للرحمن حين رآنى
وأذريت دمع العين لما رأيته ونادى بأعلى صوت ودعانى
فقلت له أين الذين عهدتم حر اليك فى خصب وطيب رمان
وقال ضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا لئنى يبق مع الخدثان
وأرى لكى الوء من حذى عدأ وراءك . والحيان مؤتلسان
سجلاً وبهائاً ووبلاً وديمة وسجاً وتسجاً إلى ثملار
ثم به شكى من فؤاد مجروح . وإذا به يسمع صوت حمامة نندب إليها
وتسوح فالسد :

لقد هتف في جنح ليلى حمامة على فنن وهننا وإلى لناهم
فقلت اعتذار - ند ذاك وإني انفسى فيما فرد أتيت - للآثم
أزعم أنى عاشق ذو صابنة بليلي ولا أبكى وتبكى البهائم
كذبت وييت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتنى بالبكاء الخائم

(وقال أيضاً)

أيا جبل الثلج الذى فى ظلاله غزالان مكحولان مؤانغان
غزالان شبا فى نعيم وغمطة ورعدة عيش نديم عطران
أرغتهما ختلا فلم أستطعهما فقرا وشيكا بعد ما قتلا
خليلي أم، أم عمرو فنهما وأما عن الأخرى دلا تسلا
فما صاديات حن يوماً وليلة على الماء دون الورد هن حوان
يرين حمام الال والموت دونه وهن لأصوات اسقاء رواب
بأكثر منى حسرة وصداة اليها ولكن الفراق عرني
خايلي من ميت و مكلم لدينى بمجى فامصب ودران
أقل حاجتى وحدى ييارب حاجة قضيت على هول وخوف مكان
وأن أحق المس منى تحية مشرقاً لها من أو يشا تنغان
ومن قادنى الموت حتى إذا صفت ، مشددة سم أرفع سمى
ثم إنه ترك المكان وقصد الروابي والكثبان وهو يسد الشجر حسبان
ربيم مع النوحوش - العرلان .

وانفق أن رجلا من أسد حرج ذات يوم من اندر طامياً إلى رى
والقفار وكان ذلك في عام أنهب أمسكت أسماؤه به مطرها و"لارص" زنتها .
فرحل "فته" ريكب الخاصب والداول ، ترده رص وتقصده أخرى
قال الرجل وما رات أقمطع لسهوب والأوعر ، حتى همرت من مدلى
حقيقة رفعت من روضة معسبة كثيرة الأنوار رابى حين والأزهر - سعتى
نفسى إلى الإلنام بها وودت أن أقم فيها وأتره فى بعض واحبها منات فى

أرجاء تلك الأزاهر المونقة والأنوار البديعة المورقة ، وأنخت ناقتي إلى
قنوان شجرة صغيرة وجلست سنيها ، فبينما أنا كذلك أنامل في تلك الروضة
والمروج الطويلة العريضة إذ سقط رجل من جراد كثيرة الاعداد على ذلك
الواد فاهترشت جنباتها وأرضها وأخذت طولها وعرضها . فظلت متمججاً
عما أرى .

ثم رميت نظري في فرائدها ، فإذا أنا بشخص أقبل من صدر البرية
ناحل الجسم عار من اللحم ، وما على جسده غير شعر منسدل على صدره ،
وزغبات على عكبة ، فرائض منهرة ، متمار تبي خرقاً ووجلاً وخشيت
أن أكون على شرف الهلاك ، وما شككت أنه شيطان . رد ثياباً دنا مني
أنشد يقول :

حب البنا بك يا جراد أرض وإن جاءت بك الأكباد
برماقت لأصبار ولا نوراد ~~يا~~ ~~يكن~~ ~~من~~ ~~لنا~~ ~~تداد~~
ولا لابناء السبيل الزاد

فقلت له زنى أنت أم جنى ؟ زائماً يقول :

إليك عنى فإني هائم صب أمارى الجسم فدأودى به اعطب
((وقل أيضاً))

في قلب مت حزناً ولا تلك جازعا	بأن جزوع القوم ليس بخالد
هويت فتاة كالغزالة وجهها	وكالشمس يسي دلها كل عابد
ولى كبد حرى وقلب معذب	ودمع حثيث في الهوى غير جامد
وآية وجد الصب تهطل دمه	ودمع شجي الصب أعدل شاهد
على ما تطوى من رجده في ضميره	على الآسات الناعمت الخرائد
فيأليت أن الدهر جاد بـرجوة	وهيهات أن الدهر ليس بعائد
إليك فعز النفس واستشعر الآسى	فبك ينمى زائداً غير بائد

وقد شجعت ليلى وشط مزارها وغيرها عن عهدا قول حاسد
فيا أسفا حثام قلبي معذب إلى الله أشكو طول هذي الشدائد
قال الرجل ثم خرم فشيأ عليه ، فبادرت إلى الماء وانضجت على وجهه
فأفاق بعد حين ثم تنفس الصعداء فأنشأ يقول :

لاري لو دهمت بسطت عندي إذا ما أثقلب عاوده تزوع بها الحين المباح لمن بغاد
وجرع للغريب به مريع إلى أهل الكرام تشاق نفسي فهل يوماً إلى وطى أريع
قال الرجل فتعجب من شدة عشقه وغرامه ورقة شعره وعذوبة كلامه
فقلت له : ويحك يا أخا العرب وسيد أهل الفصاحة والأدب إلى أراك في
عذاب أليم وخطر عظيم وحال سقيم ، ولا شك أن هذا البلاء الذي أنت
فيه والعناء الذي أنت تقاسيه ناتج من هواجس رديئة ورساوس شبيهة بالنية
فيادر الآن واستعمل فكرك الرزين وتب إلى رب العالمين فهو يكشف عنك
هذا الداء الدنين لأنه سمع بحبيب ومن اتكل عليه فلا يخيب ، فلما سمع كلامي
بكى من عظم جواه حتى ترازات أركان أعظامه وأنشد يقول :

يحبشون لي ليلى على راسي من أنزل من بيلى حراماً ولا حلاً
سوى أن حباً لو يشاء أقامها وأر تبغى ظلاً لكان لنا ظلاً
ألا حبذا أطلال ليلى على بهلي وما لذات من نوال وإن قلا
فما يتبادى العمد إلا تجددت معدتها عندي وإن زعمت أن لا

فقلت له : ويحك استشعر "صبر" واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب ،
واعلم أنك لا تصل إلى الحبيب إلا بالستر ونفيك "شذوة" فإن انتهت يتطعم
موارد الغبطة ، وليس للمبتولك ألفة والمستور طويل مدة "غبطة" ، فقال :

لقد هم قيس أن يزج بنفسه ويرى بها من نروقة الجبل الصعب
فلا غرو أن الحب للدم قاتل يقابه ما شاء حباً إلى جنب
أناخ هوى ليلى به فإذا به ومن ذا يطبق الصبر عن محل الحب
فيسقيه كأس الموت قبل أوانه ويورده قبل الممات إلى الترب

قال فأقسمت عليه أن يأنشدني أحسن ما قاله في وصف المحاجر والنهود
والأطراف والحدود فأنشد يقول :

لي أصبو بالعشي وبالضحى إلى خرد ليست بسود ولا عسل
 معمة الأطراف هيئ بطونها كواعب تمشي مشية الخيل في الوحل
 وأعناقها أعناق غزلان رملة وأعنيها من أعين البقر النجل
 وأثلاثها العلياء كأن فروعها وأثلاثها الوسطى كتيب من الرمل
 وأثلاثها السقلى براذى ساحل عناقيد تغذى بالدهان وبالعسل
 وترى فتصطاد القلوب عيونها وأطرافها ما تحسن الرمي بالنبل
 ورعن الهوى في القلب ثم سقيته ضبابات ماء الشوق بالأعين النجل
 رعائب ما صدن القلوب وإنما النبل ريشة بالفتور وبالكحل
 هيم دماء العاشقين مظلة بلا قود عند الحسان ولا عقل
 ريفتلن أنساء الصباية عنوة أما في الهوى يارب من حكم عدل
 فقلت هل لك من مزيد أيها الشاعر المجيد ؟ فقال نعم وأنشد :

ومفروشة الحدين ورداً مضرجاً إذا جشته العين عاد بنفسجا
 شكوت إليها طول ليلى بعبدة فأبدت لنا بالغنج درأ مفلجا
 فقلت لها منى على بقلة أداوى بها قلبي فقالت تغنجا
 بليت بردف لست أستطيع حمله يجاذب أعضائي إذا ما ترجرجا
 قال الرجل ثم قطع شعره وذهب وطلب الهزيمة والهرب ، فأنذهلت من
 أمره ونهضت مسرعاً في أثره طالباً الزيادة من شعره ، فلم أدركه إلا بعد
 الجهد وقد تعلق بحبال نجد فرجعت عنه وقد تعجبت منه .

وحدث رجل آخر من بني كنانة وهو من أهل الصدق والأمانة ، قال
 خرجت في بعض الأسفار أطوى الفياض والقفار والسمول والأوعار ،
 فأتته في المسير إلى غدبر كبير كأنه البحر المستدير فرأيت في بعض نواحيه
 جارية كأنها البدر انتام وفي يدها بردة وقصعة مملوءة بالطمام ، فتقدمت إليها
 وسألت عليها فردت على السلام بأفصح كلام فبينما أنا أتأمل فيها وأنظر إلى
 حسن معانيها إذ أقبلت عانة من الغزلان طالبة الماء من ذلك المكان ، وفي
 أوائها رجل عريان وهو نحيف الجسم كتيب النفس قد اسود جوده من
 تحم البرد وحر الشمس فأومأت الجارية إليه وصاحت عليه وأشدت تقول :

وخبر عاني ان نيله منزل الليل إذا ما الصيف إلى المراسم
فهذه شهور الصيف عناقه انقضت فما للنوى ترى بليل المراسم
فلما سمع كلامها تقدم إليها حتى صار أمامها فألقى نفسها عليه وقبله
وأعطته البردة فأخذها وستر عورته ثم تناولته الطعام، فجلس وأكل وهو يبكي
ويتململ، قال الرجل فتعجبت من ذلك غاية العجب، والتفت إلى الجارية
وقلت لها يا حرة العرب من يكون هذا الغلام وماذا جرى عليه من الأحكام
لاني أرى صفته غريبة وحالته رديئة كئيبة، فقالت هذا والله يا أختي، شقيق
ومهجة فؤادي وكبدى وما كانت هذه الصفة صفته ولا هذه الحالة حالته
وإنما كان وحيد عصره ونتيجة دهره، مشكور السيرة طاهر السريرة فصيح
الكلام رفيع المقام محبوباً من الخاص والعام، وقد اشتهر بالكرم وعلو
الهمم ومكارم الأخلاق والشيم، وانتشر صيته بين العرب والعجم، واتفق
أنه عشق جارية فافتتن بها وهام، وتواترت عليه الأسقام من كثرة الحزن
وقلة الأكل والمنام، حتى انتحل جسمه واعتراه الجنون ومضى عليه مثل
ذلك سنون، وهو يهيم مع الوحوش في البراري والخصاب ولا يقر له قرار
ولا يلتفت إلى خطاب، إذا ذكرت له زالت عنه الوحشة وعاد عقله إليه وذهبت
عن قلبه الرعشة قال الرجل ولما انتهت من كلامها التفت إلى المجنون، وقال
أيها الرجل المسافر إلى أين أنت سائر، وإلى أية حلة تقصد من حلال العشائر،
فقالت له مرادى أن أسير إلى حى بنى عامر أهل المكارم والمفاخر، قال بالله
عليك متى إلى تلك المنازل والأعلام أقرىء ليل منى كثير السلام، وأعلمها
بحالى وما شاهدت من أحوالى وبلغها عنى هذه الآيات وأنشد يقول :

أرى الناس أمامي تجدد وصله فغث وأما من خلا قسمين
تخبرنى الأحلام إلى أراكم فيأبى أحلام المنام يقين
شهدت بأننى لم أؤخذك مودة وإنى بكم حتى الميات ضنين
وإن فؤادى لا يلين إلى هوى سواك وإن قالوا بلى سيلين
ثم وثب قائماً على قدميه وأرخى البردة عن منكبيه وصاح صيحة قوية
وذهب مع وحوش البرية، فجعلت أخته تبكى وتلطم خدودها وتعض من

شدة الألف زودها ، وبكيت أيضاً على صباه وعلى ما أصابه ودهاه ثم ودعتها
وجديت في قطع المضارب حتى وصلت إلى بني الحريش قبل الغياب ، فقصدت
إلى مضرب كبير وقد حدثتني نفسي أنه بيت الأمير ، فلما دُتوت منه وقفت
متفكراً وفي هذا الأمر متحيراً ، وإذا قد أقبلت على عجوز من ذلك البيت
فقلت من أنت ومن أين أنت فقلت إني رجل غريب أتيت هذه القبيلة
لأجل ليلي خليعة المجنون العاشق المفتون وقد حملني لها سلاماً وشعراً وكلاماً
فهل لك أن تدليني عليها وترشدني إليها ، فلما سمعت كلامي قالت أبشر يا وجه
العرب بلوغ الأرب ثم إنها غابت وجاءت بجارية بديعة الجمال كأنها الهلال
مسربة بثوب من الحرير الأحمر وفي عنقها عقد من نفيس الجواهر ، يدهش
البصر وعيناها تذرف الدموع وهي تبكي من فؤاد موجوع ، فتقدمت إلى
وسلت علي ، وقالت لي أيها الصديق قد بلغني أنك قد لقيت قيساً في الطريق
فحملك كلاماً تقول له لي فأني هي ليلي المشتومة عليه والمشتاقة إليه . فبالله عليك
حدثني بحديثه وما كان من أمره ، فأنشدتها ما سمعت من شعره فصارت تبكي
وتلطم خدودها وتعض من الأسف على زودها ، هذا ، والعجوز تلطف
بمخاطرها وتضمها إلى صدرها وتقبلها في وجهها ونحرها ، وقد احتارت في
أمرها ، ثم انتفتت إلى بعد حين وتهدت من قلب حزين . وقالت يا صاحب
الحمة العلية وكاشف الغمة والبلية إذا اجتمعت به مرة أخرى في البرية أهده
مني جزيل النحية وأنشده هذه الأبيات :

ألا ليت تمرى والخطوب كثيرة متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسى من لا يستقل برحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع
قال ثم إنها أضافتني وترحت بي وأكرهتني فأفتت عندها ثلاثة أيام في عز
ولا كراه ثم استأذنت وانصرمت من حيث أتيت وتد تعجبت مما سمعت ورأيت .
(فل لروى) وكانت لي لا استطعم بطعام ولا شربة بمنام بل تقضى ليلها
الطويل . الركاء والتعويل ، وتخاصب نفسها بالسلامة ونعش على بديع . سن
وفدانة . حتى رال نشاطها وحال . رتمكن منها مرض والبلبال . وفي كل يوم
رداءة يهه الألام حتى اقصص صوتها عن الكلام ، وشربت كأس الحمام فكفنها

أهلها وواروها التراب واكثر واعليها الانتحاب ومزقوا ما عليهم من الثياب .
 (قال الراوى) فبينما كان يطوف من مكان إلى مكان وهو كثير الهموم
 والأحزان إذ مر به فارسان فنعياها إليه وقالوا قد حكم الله عليها بالموت
 وهو كائن ليس لأحد منه فوت ، لم يسلم منه ملك شديد ولا جبار عنيد ، فعز
 نفسك الآن وتب إلى العزيز الرحمن ، واستقبل الأحكام بالرضى واستسلم
 لموارد القضا وقابل عوارض المحن والضير بما قاله كعب بن زهير :
 كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حديداء محمول
 قال فلما سمع منهما ذلك الخطاب أظهر الالكتاب واستعظم المصاب ،
 وأخذته الرعدة والاضطراب وغلب عن الصواب وعلا زفيره وشهيقه حتى
 رق له عدوه وصديقه وأنشد يقول :

أيانا عي ليلى بجانب هضبة أما كان يسعاها إلى سواكا ويانا عي ليلى بجانب هضبة
 لن بعد ليلى لأمرت قواكا ويانا عي ليلى لقد هجتنا لنا تسارح نوح في الديار كلاكا
 نلا عشتا إلا حليف مصيبة ولا متما حتى يطول بلاكا وأسليت الأيام فيها عجائباً
 موتسكا أنى أحب رداكا أضلكما لا تعلمان مصيتى لقد حل بين الوصل فيما أراكا
 ثم مضى حتى دخل الحى وهو فى غم شديد وحزن ما عليه من مزيه بعد
 أن كان لا يمر به إلا من بعيد فأتى أهل بيتها فعزاهم وعزوه ، فقال دأوني على
 قبرها فدلوه ، فلما رآه عظم مصابه ررمى بنفسه عليه . والتمسه من شدة
 عذقه وجواه وضمه إلى صدره وقد حار فى أمره وأنشأ يقول :

أيأ قبر ليلى لو شهدتك أعولت عليك نساء من مصيح ومن بحجـ
 ويا قبر ليلى أكرس حملب يكن لك ماعشتنا عابها بهـ
 ويا قبر ليلى أن إلى عريه بأرضك لا خول لدينا ولا سمـ
 ويا قبر ليلى ما قصمت قبها سميهاً ليلى دأ عذاب وداكرـ
 ويا قبر ليلى غابت يوم فها وخباتها والحاد حاون لها فيهـ

قال : ثم إنه كان بأرى إلى قبر أبيه ويدور نهاره وهو يرتبها ثم سار حتى
 جف جسده على عظمه . وضعفت قوته واشتدت بآيته . ثم إن رجلاً
 من بني أكرس راى نظره في حية فحياها ، قال انظر من خرجت

أطلبه في البراري بعد أن أُرشدني أهله عليه وقد أفهموني بأن أنشده بعض شعر قيس بن ذريح وذلك ذريعة الدنو منه إلى أن لقيته قاعداً يلعب بالتراب ، فسلمت عليه وجلست منه بمكان قريب ورد علي السلام فقلت له يا صاحب الوجه الملبع والكلام الفصيح ما أحسن قول قيس بن ذريح حيث يقول :

وَأَنِّي لَمَنْ دَمَعَ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ حَذَارًا لِّمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي ، بِكَفَى إِلَّا أَنْ مَا حَانَ حَائِنٌ
وَقَالُوا غَدًا أَوْ بَعْدَ ذَاكَ بَلِيَّةٌ فِرَاقُ حَبِيبٍ يَانِ أَوْ هُوَ يَأْنِ
قَالَ : فَبَكَى شَدِيدًا وَسَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَيْهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

هوى لم ترمه الغايات صميم
 فزالت بيوت الحى وهو مقيم
 يموت ويعيش ما عاش وهو سقيم
 وعن بللات الماء وهو يحوم
 دموعى فأى الجازعين ألوم
 أم آخر يبكى شجوه ويهيم
 على الله فقد الوالدین يتيم
 أسد وقد لو الدین عظيم
 وقلبي مم قد أجن بهيم
 كما أن بين المديات سقيم
 على السيف في طرل الزمان
 ونسكه في حفز لها ونسج

اصفرأه في قاي من الحب شعبة
 به حل بيت الحب ثم انثى به
 ومن يتبصر حبه فواده
 فخران صادقان يزد عن به مشرب
 بكت داره من ندمه رتبه ملك
 أهذا الذي يبكي من الهزن و"بلا
 بل الله أشكر حب ليلى كاشكا
 نبي جناه "لا قربون فضعه
 أنف احق بما أن قبيل "وع
 إذا ذكرته من أن به سرها
 على ما السان إن كان حبه
 به ن فم من "يكو كان حبه

دهر فتنه القیامت دین دهر
 کیا جہنم میں آئے قیامت
 حقیقت ان کی اشیاء مقرب
 حیات تبارک جہنم اندر تبارک
 نسیان دهر آیت عارفانہ یقیناً
 ضرورت دهر ہمارے ہاں
 اے ایمان دوزخ الیہ دهر حیات

[illegible]

ومني حتى إذا ما رايتني
صددت وأشمتت العداة بهجرنا
أبعد عنك النفس والنفس صبة
خفاة أن تسعى الوشاة مظنة
أما والذي يبلو السرائر كلها
لقد كنت ممن تصطفى النفس خلة
وأني لأستحييك حتى كأنما
تلدجن حتى يذهب اليأس بالهوى
سأستعطف الأيام فيك لعلها
(وقال) ألا هل طلوع الشمس يهدي تحية
اتضرب ليلي إن مررت بذي الغضى
أحل على الرجم إن قلت حبذا
(وقال) فياليت ليلي وافقت كل حجة
فتجمعنا من نخلتين ثنية
فألقاك عند الركن أو جانب الصفا
فأنشدها أن نحوى لهون والهوى

على شرف للناظرين قريب
أثابك فيما تصنعين مثيب
بذكرك واللمشى إليك قريب
وأكرمكم أن يستريب مرريب
ويعلم ما تبدى به وتغيب
لها دون خلان الصفاء حجوب
على بظهر الغيب منك رقيب
وحتى تكاد النفس عنك تطيب
يوم سرورى فى هواك تثوب
إلى آل ليلي أودنو غروبها
وما ذنب ليلي إن طوى الأرض ذيبها
غروب ثنايا أم عمرو وطيبها .
قضاء على ليلي وإني رفيقها
يعض بأعضاء المطى طريقها
ويشغل عما أهل مكة سوقها
وتمنح نفسها طال مطال حقوقها

وزاره الأعرابي ثانية بعد انصرافه إلى الحى وقد حدثهم بحديث قيس وما
أنشده من شعره فوجدته على كتيب من الرمال وهو يخط بأصبعه فيه ، فدنا
وسلم عليه وقال : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

لورا كبرى وعأودنى رواعى وكان فراق لنى كالحداق تكفى الوشاة فأزعجوني
ني الله للواشى المطاع فأصبحت الغداة ألوم نفسي على شيء وأيسر به استطاع
كفبون يعرض على يديه تدين غنمه بعد البيع
إذا ما تذكرين تحى نفسي حنين الألف يضرب ناسخ
قال المجنون : بلى والله واستعر حيناً ثم قال : أنا أشعر منه حيث أقول
ألا يا نسيم الريح حكمك جائر على إذا أرضيتنى ورضيت
أيا نسيم الريح لو أن واحداً من الناس يبلية الهوى لبليت

فلو خلط السم الزعاف بريقها تمصصت منه نهلة ورويت
ثم قال إن لم أكن أشعر منه في هذا فأنا أشعر منه حيث أقول :
وعارصن بالعقبات مفلج به الظلم لم تقل لمن غروب
رضاب كريح المسك يجلو متونه من الضر أو فرخ البشام قضيب
ثم غشي عليه ، فلما أذاق قالت أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :
هبوني امراً أن تحسنوا فموساكر لذلك وإن لم تحسنوا فهو صافح
فإن يك أقوام أشاروا بقتلها فإن الذي يبني وبينك فاضح
وقال أنا شعر منه حيث أقول :

وأدنيته حتى إذا ما فتنني بفول يحل العصم سهل الأباطح
تجافيت عني حين لالى حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح
قال الأعرابي : فلما أتم هذه الأبيات ظهرت له ظبية فتعلق قلبه بها ووثب
مسرعاً في طلبها والتفت إل وقال : السلام عليك فما أراك تراني بعد هذا
أبدأ ، قال الهلالي : ثم رجعت إلى الحى وقد احترق قلبي بكى ، فأنشدتهم ما
سمعتهم من شعره فكتبوه وأخبروه ما كان من أمره ، فلما كان من الغد
بكرت وطلبته وفتشت عليه فلم أفق له على أثر ، فأخذني القلق والضجر
فأنصرفت إلى الحى ، حيث أساء وأنتهتهم بأخبار . فقام إخرته ومن يلوذ
من أهله وأقاربه فطلبناه يومنا وليلتنا في القفار والسمول والأوعار ، فلما
أصبحنا هبطنا إلى واد كثير الحجارة والرمل ، وإذا نحن به ملقى ميتاً ، بين
حجرين وقد كان خط بأصبعه عند رأسه هذين البيتين :

توسد أحجار المهامه والقفر ومات جريح القلب مندمل الصدر
فياليت هذا الحب يعشق مرة فيعلم ما يلقى المحب من الهجر
فرثيناه وعلت أصواتنا بالبكاء والنحيب وحملناه إلى الحى فبكى عليه
الغريب والقريب وكل صاحب وصديق ومن سنع باسمه يوماً ، وتأسف أبو ليلى
عليه وندم على عدم زواج بليلي غاية الندم وقال والله لقد قابلته بالاستخفاف
وغاملته بغير الحق والإنصاف ، ثم تقدم إليه وضمه إلى صدره وبكى عليه
وبعد ذلك غسلناه وكفنناه ودفناه إلى جانب قبر ليلى ، رحمهما الله تعالى .
وكان ذلك في السنة الثمانين من الهجرة المحمدية الموافقة سبع مائة مسيحية . -